زيارة الأنبياء والأولياء

في مصادر اهل السنة المعتمدة



من موسوعة الرسول المصطفى
صلى الله عليه وآله

السيد عبد المجيد الميرداماد

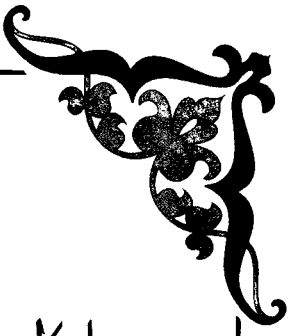
دار الأمين

بسم الله الرحمن الرحيم





www.epmm.ir
www.epmm.info
www.almawsouah.com
info@almawsouah.com



زيارة الأنبياء والأولياء
في مصادر أهل السنة المعتمدة

السيد عبد المجيد الميردامادي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وأهل بيته الطاهرين واللعن الدائم على أعدائهم أجمعين .

قد تكالبت الأعداء على محاربة الإسلام وتخريب أركانه وتزييف بنيانه، بنشر الأكاذيب وزرع الفتن والاختلافات وإيجاد التفرقة بين صفوف المسلمين وإلقاء الشبهات حول الأصول الإسلامية وفروعها بهدف تشويش أذهان المسلمين عامة والشباب خاصة.

وما كان من الأُصول والفروع الإسلامية أعظم أثراً وفائدة في تشييد حضارتهم وتقدمهم كانوا أكثر محاربة له، ومن الأمور التي لها أثر أساسي في تقدم المسلمين واعتقاداتهم وثقافتهم هي مسألة زيارة القبور عامة وقبور الأنبياء والأولياء خاصة وبالأخص زيارة قبر بضعة الرسول الإمام الحسين علي عليه السلام .

فعندما يتأمل الإنسان ويتعمق في كنه المسألة وآثارها العملاقة في المجتمع الإسلامي يرى أنّ الزيارة والحضور في مشاهد الأنبياء

والأولياء لها سهم كبير في بقاء الدين ودوامه وحفظه من الاندراس، ولها دور فعال في الحضارة الإسلامية والأمور التربوية والاجتماعية، ونفس هذه الآثار أحسن دليل على مشروعيتها ورجحانها لو لم يكن في البين دليل غيرها، والحال أنّ الأدلة على مشروعيتها كثيرة جداً فإنّ أثر الزيارة يتجلّى في أمور:

الأول: العقيدة والإيمان بالله جل جلاله فكلما يحضر الإنسان عند قبور الأنبياء والأولياء خاصة خاتم الأنبياء وأوصيائه المعصومين الذين انقضت أيامهم في دعوة الناس إلى التوحيد وبذلوا المهج في سبيل تنامي عقولهم وتربيتهم وتزكيتهم، تتراءى عند الزائر تلك الخصوصيات ويذكر كلماتهم وتوصياتهم ويذكر عبادتهم وقيامهم وقعودهم لله تعالى وجهادهم في سبيل إعلاء كلمته وكأنهم أحياء يسمع كلامهم ويرى حالهم ويرونه ويسمعون كلامه، فيرتكز عنده الإيمان بالله وتتقوى عنده فكرة التوحيد وعبادته وحده لا شريك له والبراءة من أعداءه والابتعاد عن كل ما ينسيه ذكر الله ويشغله عن عبادته.

ولا يزال هذا الأثر يحصل لكل من يزورهم ويحضر في مشاهدهم مدى الزمان ويصير سبباً لبقاء واستمرار ذلك التراث الإسلامي الأصيل وصونه من الاندراس.

وهذا الأثر هو السبب الأصيل في مخالفة الأعداء لزيارة قبر النبي ﷺ والأئمة عليهم السلام وسائر من تبعهم من الصلحاء.

الثاني: وبموازاة تحكيم الفكرة التوحيدية خلال حضور الزائر عندهم يتقوى عنده الاعتقاد برسالتهم وإمامتهم واتّباعهم ونصرتهم والعمل بما أمروا به وحثّوا عليه والاجتناب عما نهوا عنه.

الثالث: وبموازاة تحكيم تلك الأصول الثلاثة (التوحيد ـ النبوة ـ الإمامة) يتقوى عنده أصل آخر وهو الاعتقاد بيوم الجزاء وعالم البرزخ، وهذه الخصيصة عامة تشمل زيارة جميع القبور.

فإنّ الزائر لما يحضر عند القبور يذكر الموت وفناء العالم وعالم البرزخ وما فيه من بشارة وسرور للمؤمن ومحنة وعذاب للمنافق والكافر ويتذكر يوم الحساب وسائر مواقف القيامة، فيصير في صدد إصلاح نفسه وترك الذنوب والاستعداد للرحيل وترك الحرص على الدنيا ويتزهد فيها ويترك الظلم والعدوان ويتخذ العدل والإحسان.

ولذا ورد في الحديث عن أنس بن مالك مرفوعاً، قال النبي ﷺ: **«نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها؛ فإنها تذكّركم الموت»**[1].

وعنه أيضاً عن رسول الله ﷺ: **«إني نهيتكم عن زيارة القبور، فمن**

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك ١: ٣٧٥ وصحّحه.

شاء أن يزور قبراً فليزر فإنه يُرقّ القلب، ويدمع العين، ويذكّر الآخرة، ولا تقولوا هجراً»[1].

وروي عن ابن أبي مليكة، أنّ النبي ﷺ قال: «ائتوا موتاكم فسلموا عليهم وصلوا عليهم، فإنّ لكم فيه عبرة».

قال ابن أبي مليكة: ورأيت عائشة تزور قبر أخيها عبد الرحمن ابن أبي بكر، ومات بالحبشي وقبر بمكة[2].

الرابع: إنّ في زيارة الأنبياء والأولياء ومن تكون لهم أرواح ملكوتية وأنوار قدسية أثراً عجيباً في روح الزائرين لهم لأنّ نفس الحضور عند هؤلاء ومجالستهم ـ حيث إنا نعتقد بحياتهم البرزخية وأنه لا فرق بين الحياة والممات بالنسبة إليهم ـ فيه آثار وضعية وهي سراية تلك الصفات وما عندهم من الخصوصيات المعنوية والنورانية إلى شخص الزائر وذلك بحسب مراتب المعرفة والاستعداد في كسب الكمالات في زوارهم، فقد حصل لبعض زوارهم العارفين بحقهم العاملين بأوامرهم كثير من الترقيات المعنوية والروحية والعلمية ووصلوا إلى درجات الكمال على أثر الارتباط بهم والتردد إليهم

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده ٣: ٢٣٧، ٢٥٠ والحاكم في المستدرك ١: ٣٧٦ وصححه هو، وأقره الذهبي، والبيهقي في سننه الكبرى ٤: ٧٧.

(٢) المصنف لعبد الرزاق ٣: ٥٧ ط توزيع المكتب الإسلامي

والحضور عندهم حياً وميتاً، وحصل لبعض من كان أقل معرفة وأقل عملاً منهم آثار أقل وبحسب أرضيته واستعداده.

وما تعرضت له من الآثار ليس صرف ادعاء، بل هو ثابت عند علماء النفس والأخلاق فضلاً عما ورد من الروايات الصحيحة في باب المجالسة وغيرها وفضلاً عما ورد في نفس أحاديث زيارة النبي ﷺ والمعصومين المتضمنة لذكر فوائد جمة لزوار قبورهم وهكذا الأحاديث الواردة في الحث على مودتهم ومحبتهم وآثار محبتهم، فإنّ محبتهم ومودتهم هو الإكسير الأعظم والكبريت الأحمر، فكما أنّ الإكسير إذا وضع على الشيء الداني يصلحه ويغير ماهيته ويجعله دُراً ثميناً، هكذا حب النبي وآله صلوات الله عليهم أجمعين فإنه يوصل الإنسان إلى أرقى مراتب الكمال وأعلى الدرجات.

ومن أجل هذا الأمر نرى بعض علماء النفس والأخلاق يأمرون من أراد أقرب الطرق وسرعة الوصول إلى معرفة الله والكمال والغلبة على النفس والشيطان وقهرهما، بكثرة الارتباط مع المعصومين عليهم السلام ومحبتهم، والحضور عند قبورهم، لأنّ مشاهدهم محال نزول النسمات الرحمانية والبركات الإلهية وهبوط الملائكة وأرواح الأنبياء، وحيث إنّ معنى الزيارة هو نفس الحضور عند المزور وزيارتهم حياً وميتاً من أظهر مصاديق المحبة فما يثبت للمحبة من الآثار العظيمة فهي ثابتة

لزيارة قبورهم ﷺ قطعاً.

وهذه الفضائل والآثار هي التي أشار إليها سبحانه في كتابه بعد فرض المودة على المسلمين بقوله: ﴿وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا﴾[1] وبقوله: ﴿مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ﴾[2].

وجاء في ذيلها عن الإمام محمد الباقر عليه السلام أنه قال: يقول الأجر الذي هو المودة في القربى التي لم أسألكم غيرها فهو لكم تهتدون بها وتنجون من عذاب الله يوم القيامة[3].

وفي صعيد آخر روى أيوب السختياني عن نافع، عن ابن عمر أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**من أراد التوكل على الله فليحب أهل بيتي، ومن أراد أن ينجو من عذاب القبر فليحب أهل بيتي، ومن أراد الحكمة فليحب أهل بيتي، ومن أراد دخول الجنة بغير حساب فليحب أهل بيتي، فو الله ما أحبهم أحد إلا ربح في الدنيا**

---

(١) سورة الشورى: ٢٣.

(٢) سورة سبأ: ٤٧.

(٣) ينابيع المودة للقندوزي: ١٠٥ ط مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ـ بيروت.

والآخرة»[1].

وورد في الروايات الصحيحة عنه ﷺ: «**من أحبنا أهل البيت فقد أصاب خير الدنيا والآخرة، فلا يشكنّ أحد أنه في الجنة**».

الخامس: الآثار الدنيوية ومن الآثار المترتبة على زيارة القبور هو استجابة الدعاء وقضاء الحاجات ورفع الكربات ونيل الغايات وشفاء الآلام والأمراض، وهي آثار لا حاجة في إثباتها إلى دليل وبرهان فإنّ وقوعها الخارجي وإذعان الناس بها وكثرة ترددهم إلى تلك المزارات والازدحام عليها، أحسن علامة على ما في تلك المشاهد من البركات الإلهية والفيوضات الربانية والنسمات الرحمانية، وإلا لما ازدحموا عليها وما أكثروا زيارتها وما تحملوا تلك المشاق والزحمات من أجل الوصول إليها وقد كتبت الكتب الكثيرة في ما حصل من الكرامات المعتبرة التي حصلت للزائرين في تلك المشاهد.

على أنّ في ما ورد من أحاديث زيارة القبور صراحة على تلك الآثار، وهي ثابتة في الجملة في زيارة قبور سائر المؤمنين أيضاً[2].

فما ظنك بقبور أهل بيت العصمة عليهم السلام الذين جعلهم الله عزوجل

---

(١) مقتل الحسين للخوارزمي: ٩٧ ط دار أنوار الهدى ـ بيروت.

(٢) كما ورد عن الإمام علي عليه السلام: زوروا موتاكم، فإنهم يفرحون بزيارتكم وليطلب الرجل حاجته عند قبر أبيه وأمه بعدما يدعوهما. بحار الأنوار ٩٧: ١٠.

أبواباً لرحمته وسفناً لنجاة خلقه وأماناً لأهل الأرض كما أنّ النجوم أمان لأهل السماء.[1]

الأدلة العامة على مشروعية زيارة قبور النبي والأئمة عليهم السلام

فإذا سألت عزيزي القارئ: ما الدليل على مشروعية زيارة القبور؟ خاصة زيارة قبر الرسول صلى الله عليه وآله والأئمة من أوصيائه وسائر الأولياء والصلحاء؟

نقول في الجواب: إنّ مسألة زيارة القبور عموماً وزيارة قبر النبي صلى الله عليه وآله وسائر الأولياء خصوصاً، من المسائل المتفق عليها بين جميع الفرق والمذاهب الإسلامية، وقد اتفقت آراء علماء المذاهب الإسلامية على استحبابها، بل قال بعض علماء الظاهرية بوجوبها أخذاً بظاهر الأمر الوارد فيها، وحتى أن ابن عبد الوهاب وأتباعه لم يتظاهروا بالمنع عن أصل الزيارة، غير أن الباحث يفهم من خلال كلماتهم وتناقضاتهم وتكذيبهم للروايات، عدم اعتقادهم بمشروعية الزيارة مطلقا.

ولأجل عدم الاختلاف ووجود التسالم لا نتعمق في البحث عن أصل مشروعية زيارة القبور، بل نكتفي بذكر نبذة من الأدلة على

---

(١) قد ثبتت هذه الخصائص لأهل بيت النبوة بالأحاديث المتواترة التي رواها جمع كثير من أعلام المذاهب فراجع في مظانها.

المشروعية التي منها دليل الفطرة وإجماع العلماء وسيرة المسلمين مضافاً لما قدمنا من الروايات الواردة في زيارة القبور وإذا ثبت رجحانها بتلك الأدلة العامة ثبت رجحان زيارة قبر النبي والأئمة عليهم السلام بنفس الأدلة لأنّ قبورهم منها، بل أعظمها وأشرفها، ومن المعلوم أنّ الغرض الأهم من التعرض لجواز زيارة القبور هو إثبات رجحان زيارة قبر النبي صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام.

الفطرة

من البديهي أنّ الإسلام دين الفطرة حيث إنّ أحكامه الكلية في مجالي العقائد والشريعة موافقة لفطرة الإنسان السليم وتلك الأحكام والتعاليم التي جاءت بها الأنبياء وفي مقدمهم خاتمهم نبينا محمد صلى الله عليه وآله توحي إلى الفطرة البشرية وتنسجم معها وتبرزها بعدما كانت مكنونة، ولذا فالأنبياء والأوصياء قبل أن يكونوا معلمين للأمم كانوا مذكرين بما أودع الله سبحانه في فطرتهم من الميل إلى عبادة من خلقهم وخلق السماوات والأرضين والتوجه والالتفات إلى ما وراء هذا العالم، ومذكرين بما في فطرتهم من الجنوح إلى العدل والإنصاف ومكارم الأخلاق والانزجار من الظلم ورذائل العادات.

لا نطيل الكلام حول الفطرة، لأنّ الهدف كان إثبات كون الشريعة الإلهية توافق الفطرة، بل نفسها شريعة فطرية ونستنتج منه ما

نريد إثباته من مشروعية الزيارة.

فنقول: إنّ زيارة الإنسان لقبر أُمه وأبيه، وقرابته وصديقه وكل من كان له حق عليه، ومن كان له صلة روحية وعلاقة قلبية أو مادية به، هي مما تميل إليه وترغب فيه النفوس السليمة في جميع الأمم ولا تخص ملة دون ملة ومذهباً دون مذهب، فإن كل إنسان سوي إذا فارق أعزاءه وأحباءه يتأثر وتراه يحاول في عدم قطع علاقته ومراودته بمن أحبه، بل يجسّد محبته وشوقه لمحبوبه بأي صورة من الصور، فتارة يحتفظ بآثاره وكل ما فيه تذكار له، وتارة ينصب صوره على الحيطان ويجعلها أمام عينه، وتارة من كثرة شوقه ومحبته أو من أجل إظهار وفائه وودّه له يذهب إلى قبره ومزاره ويجلس عنده ويداوم على هذا العمل ما أمكنه حيث يتعاهد آخر مشهد له.

وليس هذا كله إلا من جهة الباعث الذاتي الفطري الموجود بين أفراد البشر ممايميل إليه جميع أفراد الأمم، وبما أن الشريعة توحي إلى الفطرة، فلا مجال للقول بمخالفة الشارع لتلك الأمور الفطرية، بل من المعلوم تأييدها وتثبيتها وترغيب الناس عليها. نعم للشريعة الإلهية تحديدها وتنزيهها من الخرافات وتعليم الناس بالآداب الصحيحة وعلى هذا الصعيد ترى السنة النبوية حثت على زيارة القبور وذكرت آثارها وفوائدها الدنيوية والأخروية.

فتحصل أنّ زيارة القبور عموماً أمر شرعي فطري ولا محذور فيه عقلاً ولا شرعاً، وإذا ثبت رجحان الزيارة بالنسبة إلى سائر القبور بالفطرة، فما بالك بقبور الأنبياء والأولياء، خاصة خاتم الأنبياء وأهل بيته النجباء صلوات الله عليهم أجمعين؟ وهل يمكن أن يقاس أحد من أفراد البشر بهم؟ فإنّ الفطرة البشرية تحكم بأولوية زيارتهم وتعظيمهم وتجليلهم وحفظ آثارهم لما لهم من الفضل والكرامة والحق الجزيل على البشرية، بل كل الكائنات.

الإجماع

وقد اتفقت أقوال علماء المذاهب الإسلامية على استحباب زيارة قبور المسلمين وخاصة قبور الأنبياء والمرسلين والأولياء المقربين، بل قال بعض الظاهرية بوجوبها عملا بظاهر الأمر نعم قال بعضهم بكراهة زيارة النساء لسائر القبور، ولا حاجه لتطويل الكلام في الإجماع، بل نكتفي بذكر كلمات بعضهم.

قال القسطلاني في المواهب اللدنية: قد أجمع المسلمون على استحباب زيارة القبور، كما حكاه النووي، وأوجبها الظاهرية، فزيارته مطلوبة بالعموم والخصوص، لما سبق ـ أي لما سبق من الروايات ـ ولأنّ زيارة القبور تعظيم، وتعظيمه ﷺ واجب، ولهذا قال بعض العلماء: لا فرق في زيارته ﷺ بين الرجال والنساء وإن كان

محل الإجماع على استحباب زيارة القبور للرجال، وفي النساء خلاف، والأشهر في مذهب الشافعي الكراهة[1].

وقال السمهودي في وفاء الوفا: وأجمع العلماء على استحباب زيارة القبور للرجال، كما حكاه النووي، بل قال بعض الظاهرية بوجوبها وقد اختلفوا في النساء وقد امتاز القبر الشريف بالأدلة الخاصة.

ثم ذكر أنّ السبكي قال: ولهذا أقول: إنه لا فرق في زيارته ﷺ بين الرجال والنساء.

وذكر السمهودي أقوال بعض العلماء في أولوية زيارة قبره ﷺ وأنه لا خلاف في زيارته ﷺ بالنسبة إلى النساء:

فقال: والزيارة باعتبار القصد تنقسم إلى أربعة أقسام:

فقد تكون لمجرد تذكّر الآخرة وهو مستحب لحديث: «**زوروا القبور فإنها تذكركم الآخرة**» فمن لا يزور القبور أو يمنع منها لا يريد تذكر الموت والآخرة لأنّ الدنيا قد غرته واطمأنّ بها.

وقد تكون لأجل الدعاء لأهل القبور كما ثبت في زيارة أهل البقيع.

---

(١) المواهب اللدنية بالمنح المحمدية للقسطلاني ٣: ٤٠٥.

وقد تكون للتبرك بأهلها إذا كانوا من أهل الصلاح، وفي هذا القسم قال الشارمساحي المالكي: إنّ قصد الانتفاع بالميت بدعة إلا في زيارة المصطفى ﷺ وقبور الأنبياء والمرسلين.

ولا ضرورة هنا لتحقيق الكلام فيه؛ لأنّ مقصودنا أنّ زيارة قبر المصطفى ﷺ وغيره من الأنبياء والمرسلين للتبرك بهم مشروعة، وقد صرّح به.

وقد تكون الزيارة لأداء حق أهل القبور، فقد روي عن النبي ﷺ أنه قال: «آنس ما يكون الميت في قبره إذا زاره من كان يحبه في دار الدنيا».

وعن ابن عباس مرفوعاً عنه ﷺ: «ما من أحد يمرّ بقبر أخيه المؤمن يعرفه من الدنيا فسلّم عليه إلا عرفه وردّ عليه السلام».

وروي عنه ﷺ: «من زار قبر أبويه في كل جمعة أو أحدهما كتب باراً وإن كان في الدنيا قبل ذلك بهما عاقاً».

وقال السبكي: وزيارة قبره ﷺ فيها هذه المعاني الأربعة، فلا يقوم غيرها مقامها[1].

انتهى كلام السمهودي حول زيارة القبور التي من أعظمها قبر

---

(١) وفاء الوفا ٤: ٣٦٣ وانظر شفاء السقام للسبكي: ١٨٤-١٩٠ الطبعة الرابعة.

الرسول وعترته ﷺ وغيرهم من الأنبياء والصلحاء وقد ذكرته مع الاختصار لما يشتمل على الأبعاد المختلفة.

والحاصل: أنه إذا كانت زيارة القبور مشروعة ومستحبة بجميع أنحاء القصد منها؛ فإنها مترتبة بنحوٍ أكمل على زيارة قبر النبي وأهل بيته الأطهار، ولا يُفرّق بينه وبين أهل بيته؛ لأنهم من نوره، ولحمهم من لحمه، ودمهم من دمه، وورثة علمه وجميع صفاته وفضائله إلا النبوة، فما ثبت له ثبت لهم أيضاً.

السيرة

إنّ السيرة من أحد الأدلة الشرعية المعتبرة بين الفِرَق الإسلامية والملاحظ من عمل صاحب الشريعة وأهل بيته وأصحابه وغيرهم من الأولياء والعلماء وسائر المسلمين هو الالتزام بزيارة القبور.

فقد روي عن عائشة أنها قالت: كان ﷺ يخرج إلى البقيع فيقول: **«السلام عليكم دار قوم مؤمنين، وآتاكم ما توعدون غداً مؤجلّون، وإنا بكم إن شاء الله لاحقون، اللهم اغفر لأهل بقيع الغرقد»**[1]. وقد تكررت هذه الزيارة منه ﷺ وفي بعضها قد تكلم مع أهل القبور بكلمات فيها تحذير للمسلمين عما سيقع بعده من الفتن والارتداد

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، والبيهقي في السنن ٤: ٧٩ وج ٥: ٢٤٩ والشربيني في المغني ٢: ٣٥٧ وغيرهم.

وزوال الإيمان.

وقد ورد عن وصي الرسول المصطفى أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب عليه السلام أنه زار القبور وكلّم الموتى، كما جاء في مختصر تاريخ دمشق لابن منظور، عن كميل بن زياد، قال: خرجت مع علي بن أبي طالب فقال: يا أهل القبور يا أهل الوحشة ما الخبر عندكم... ثم التفت إليّ فقال: يا كميل لو أذن لهم في الجواب لقالوا: إنّ خير الزاد التقوى[1].

وورد أنّ فاطمة سلام الله عليها كانت تزور قبر عمها حمزة سيد الشهداء كل جمعة، فتصلّي وتبكي عنده[2].

وورد في بعض الأخبار أنها كانت تأتي قبور الشهداء بين اليومين والثلاثة، فتبكي عندهم وتدعو.

وجاء في مختصر تاريخ دمشق، أنه قال إسحاق بن إبراهيم: بلغني أنّ الحسين بن علي أتى مقابر الشهداء فطاف بهم، وقال:

ناديت سكان القبور فأسكتـــوا

وأجابني عن صمتهم ندب الحشى[3]

---

(١) مختصر تاريخ دمشق لابن منظور١١: ٢٢٠

(٢) أخرجه البيهقي في سننه ٤: ٧٩ ثم قال رواه مسلم في الصحيح عن يحيى بن يحيي وغيره والحاكم في المستدرك ١: ٣٧٧.

(٣) مختصر تاريخ دمشق ٧: ١٣٢

ورد عن نافع أنه قال: كان ابن عمر يمرّ على قبر واقد أخيه، ويقف عليه فيدعو له ويصلي عليه[1].

وهنا نقول: إنّ هذه نماذج من السيرة في زيارة القبور وقد تقدم عن عائشة أنها زارت قبر أخيها وإنما اقتصرت على ذكر سيرة مؤسس الشريعة ووصيه وخليفته وابنته الصديقة الطاهرة وابنه الشهيد وزوجته وابن عمر لتكون حجة على أهل الذريعة وأما عمل سائر المسلمين من الصحابة والتابعين وتابعي التابعين وسائر المسلمين فهو أوضح من أن يحتاج إلى سرد وتطويل الكلام.

والحاصل أنّ الأدلة والأخبار متظافرة على استحباب زيارة القبور، ولا حاجة إلى التفصيل فيها أكثر مما قدمنا.

فعليه إذا كانت زيارة قبور المؤمنين مشروعة وممدوحة، فزيارة قبره الشريف وقبور الأئمة عليهم السلام وسائر الأنبياء والأولياء بطريق أولى. ومن أعظم منه ومن أهل بيته شأناً؟ فهم أحق بهذا الأمر الراجح.

فتحصّل من جميع ما قدمناه أنّ أحد الأدلة على مشروعية زيارة قبر النبي والأئمة عليهم السلام ورجحانها، هي الأدلة العامة التي تدل على استحباب زيارة القبور وكان الغرض من ذكرها جعلها كدليل

---

(١) المصنف لعبد الرزاق ٣: ٥٧٠.

مستقل لمشروعية زيارة قبره وقبور أهل بيته عليهم السلام .

الأدلة الخاصة على مشروعية زيارة قبر النبي وأهل بيته عليهم السلام

قد لاحظت عزيزي القارئ ما قدمنا لك من الأدلة العامة على مشروعية زيارة القبور والحث عليها وهي بنفسها كافية لطلاب الحقائق وأهل الإنصاف غير أنا سنقدم لك طائفة أخرى من الأدلة الخاصة بنحو الاختصار وإن شئت فراجع كتاب زيارة الرسول المصطفى وآله عليهم السلام بدعة أو شرع فإنا قد فصلنا فيه الكلام بالتعرض للأبحاث السندية والجواب عن الاشكاليات الواردة في المسألة بحيث ما أبقينا شيئاً .

القرآن المجيد

إنّ أول دليل على مشروعية الزيارة هو الكتاب العزيز فقد جاء الحث والترغيب فيه على زيارة النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وبتبعه أهل بيته بدليل عدم الفرق فقال : ﴿ولَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللهَ تَوَّاباً رَحِيماً﴾[1].

وقبل الاستدلال بالآية ينبغي التنبيه على أنّ مفهوم الزيارة هو

---

(١) سورة النساء ٦٤ .

نفس الحضور والوفود والمجيء عند المزور إكراماً لـه واستئناساً بـه، والمزور سواء كان مكاناً أو إنساناً، والإنسان سواءً كان نبياً أو إماما أو أحد الأولياء والعلماء، أو كان من الأقربـاء أو الأصـدقاء والحـضور سواء كان لطلب الاستغفار أو بدونه، وسواء كان للإطـلاع والرؤيـة أو العبادة، وأما التسليم فليس داخلاً في معناها، بل هـو مـن آدابهـا، فإنّ من حضر في مكان كان من أدبه أن يسلّم على من حلّ فيه.

وهذا التسليم تارة يكـون بنحـوٍ خـاص وارد في الـسنة وتـارة لا يكون كذلك بل يسلم بأيّ نحـو شـاء، وهكـذا الاسـتغفار والـدعاء ليسا داخلين في معنى الزيارة، بل هما من الأُمور المستحبة التي تقع في الأمكنة المقدسة الشريفة التي لها شرف عند الله.

وقد استعملت الزيارة بهـذا المعنـى في مـوارد مـن القـرآن منهـا: ﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ﴾[1] فإنّ زرتم قد استعمل بمعنى الحضور واللقاء.

ويناسب هنا ذكر قصة الأعرابي الذي جاء لزيارة قـبر النبـي وقـد أخرجها العلماء في ذيل هذه الآية الشريفة تأييداً للاستدلال بهـا عـلى محبوبية زيارة قبر النبي ﷺ وشد الرحال إليه وليس ذلك إلا لدلالتها

---

(١) سورة التكاثر

الواضحة على المراد وقد رويت من طرق متعددة .

قال السبكي فيما حكاه عنه السمهودي: وحكاية الأعرابي في ذلك مشهورة نقلها جماعة من الأئمة عن العُتبي واسمه محمد بن عبيد الله بن عمر وأدرك ابن عيينة وروى عنه وقد حكاها المصنفون في المناسك من جميع المذاهب واستحسنوها ورأوها من أدب الزيارة وذكرها ابن عساكر في تاريخه، وابن الجوزي في مثير الغرام الساكن وغيرهما بأسانيدهم إلى محمد بن حرب الهلالي قال:

دخلت المدينة فأتيت قبر النبي ﷺ فزرته وجلست بحذائه، فجاء أعرابي فزاره ثم قال: يا خير الرسل إنّ الله أنزل عليك كتاباً صادقاً قال فيه: ﴿ولَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَّلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللهَ... ﴾ وإني جئتك مستغفرا لذنبي، مستشفعاً بك إلى ربي، ثم بكى وأنشأ يقول:

يا خير من دفنت بالقاع أعظمه

فطاب من طيبهنّ القاع والأكُم

نفسي الفداء لقبر أنت ساكنه

فيه العفاف وفيه الجود والكرم

ثم استغفر وانصرف، فغلبتني عيني فرأيت النبي ﷺ في النوم

فقال لي: يا عتبي ألحق الأعرابي فبشّره أنّ الله قد غفر له بشفاعتي، فاستيقظت فخرجت أطلبه، فلم أجده[1].

ثم ذكر السمهودي هذه القصة بطريقين آخرين عن علي عليه السلام.

الأول: قال الحافظ أبو عبد الله محمد بن موسى بن النعمان في كتابه مصباح الظلام عن ابن سعيد السمعاني أنه روي عن علي بن أبي طالب عليه السلام: أنهم بعد دفنه صلى الله عليه وآله بثلاثة أيام جاءهم أعرابي فرمى بنفسه على القبر الشريف على ساكنه أفضل الصلاة والسلام، وحثا من ترابه على رأسه وقال: يا رسول الله قلت فسمعنا قولك، ووعيت عن الله ما وعينا عنك، وكان فيما أنزله عليك: ﴿ولَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا الله... ﴾ وقد ظلمت نفسي وجئتك تستغفر لي إلى ربّي، فنودي من القبر الشريف: إنه قد غُفر لك.

السنة المطهرة

قد ورد في السنة المطهرة من طرق الفريقين أحاديث كثيرة تثبت

---

(١) وفاء الوفا ٤: ١٣٦١ وانظر شفاء السقام للسبكي: ١٨٣ وتفسير ابن كثير ٢: ٣٠٦، وتفسير القرطبي ٥: ٢٦٥، وشعب الإيمان للبيهقي ٣: ٤٩٥، والمغني لابن قدامة الحنبلي ٣: ٥٥٧.

مشروعية زيارة قبر النبي ﷺ وأهل بيته عليهم السلام وتؤكد عليها بيد أنا نكتفي بذكر بعض ما ورد من طرق العامة وقد وثقه علمائهم وإن ناقش فيها بعض المغرضين.

أما ما ورد في خصوص زيارة الرسول المصطفى ﷺ

منها : ما رواه الدارقطني في السنن والبيهقي والمتقي الهندي وغيرهم بالأسانيد من طريق موسى بن هلال العبدي، عن عبيد الله (أو عبدالله) بن عمر، عن نافع، عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ : **«من زار قبري وجبت له شفاعتي»**[1].

فهو صريح في الحث على زيارته بعد مماته، وأنّ هذه الزيارة توجب وتقتضي شفاعته ﷺ للزائر.

أما الكلام في سنده على نحو الاختصار:

فقد بسط الكلام الحافظ تقي الدين السبكي في طريق هذا الحديث في شفاء السقام وقال: والرواة جميعهم إلى موسى بن هلال ثقاة لا ريب فيهم، وموسى بن هلال، قال ابن عدي: أرجو أنه لا

---

(١) سنن الدارقطني ٢: ٢٧٨ ح١٩٤، وسنن البيهقي٥: ٢٤٥، وكنز العمال للهندي ٥ : ١٣٥ ح ١٢٣٧١ و١٥ : ٦٥١ برقم ٤٢٥٨، وشعب الإيمان ٣ : ٤٩٠ ح ٤١٥٩، ومجمع الزوائد ٤ : ٢، والدر المنثور١ : ٥٦٩ و...وانظر شفاء السقام : ٦٥ والغدير ٥ : ٩٣ ومصادره الكاملة.

بأس به وهو من مشايخ أحمد بن حنبل، وأحمد لم يكن يروي إلا عن ثقة. وقد صرح الخصم بذلك في الردّ على البكري[1].

ومنها: ما أخرجه الدارقطني في سننه والبيهقي وغيرهما، عن أبي عبيد والقاضي أبي عبد الله وابن مخلّد، عن محمد بن الوليد البُسري، عن وكيع، عن خالد بن أبي خالد وأبي عون، عن الشعبي والأسود بن ميمون، عن هارون بن قزعة عن رجل من آل حاطب، عن حاطب قال: قال رسول الله ﷺ: **«من زارني بعد موتي فكأنّما زارني في حياتي ومن مات بأحد الحرمين بعث من الآمنين يوم القيامة»**.

وفي طريق آخر بلفظ (وفاتي) بدلاً من (موتي) ورواه أيضاً أبو يعلي في مسنده وابن عدي في كامله ورواه الطبراني في الأوسط، ورواه العقيلي عن حديث ابن عباس[2].

أما الكلام في إسناده:

قال الحافظ الذهبي: أجودها ـ أي أحاديث الزيارة ـ إسناداً

---

(١) انظر شفاء السقام: ٦٥-٨٠ الطبعة الرابعة والكامل لابن عدي ٨: ٦٩.

(٢) سنن الدار قطني ٣: ٤٧٨. وقال الممدوح: وأخرجه البيهقي في شعب الإيمان ٣: ٤٨٨ والمحاملي والساجي كما في الميزان، وعلقه ابن عبد البرّ في الاستذكار، ورواه البخاري في تاريخه بلفظ: من مات...) فلاحظ رفع المنارة: ٢٧٣.

حديث حاطب وأقره السخاوي في المقاصد الحسنة[1] والسيوطي في الدرر المنتثرة[2] فهؤلاء ثلاثة من الحفاظ اتفقوا على مقولة تدحض الباطل فماذا بعد الهدى...[3].

هذان حديثان من اثني عشر حديثا أخرجناها عن العامة في كتاب زيارة الرسول ﷺ في إثبات مشروعية زيارة خير الأنام ﷺ وقلنا سابقاً أنه كلما ثبت للنبي ﷺ من الفضل والمقام فهو ثابت لهم عليهم السلام بلا كلام سوى النبوة وعليه فما ورد في خصوص زيارته من دليل فكأنه ورد في شأنهم عليهم السلام.

الأخبار في فضل زيارة أهل البيت عليهم السلام

وورد من طُرُق العامة أيضاً عن النبي ﷺ أحاديث في فضل زيارة أهل بيته عليهم السلام وهي أيضاً تثبت فضل زيارته ﷺ بالأولوية إذ كما ـ قلنا ـ لا فرق بينهم إلا في النبوة.

فمنها: ما رواه الخوارزمي الحنفي بسنده عن علي عليه السلام قال: زارنا رسول الله ﷺ، فعملنا له حريرة، وأهدت لنا أم أيمن قعباً من لبن، وزبداً، وصحنة من تمر، فأكل النبي وأكلنا معه، ثمّ وضّأت رسول

---

(١) المقاصد الحسنة: ٤١٣.

(٢) الدرر المنتثرة: ١٧٣.

(٣) حكاه الممدوح عن الذهبي في رفع المنارة: ٢٧٥.

الله ﷺ فقام واستقبل القبلة، فدعا الله ما شاء، ثم أكبّ على الأرض بدموع غزيرة مثل المطر، فهبنا رسول الله ﷺ أن نسأله، فوثب الحسين عليه السلام فقال: يا أبتي! رأيتك تصنع ما لم أرك تصنع مثله! فقال: **«يا بُني! إني سررت بكم اليوم سروراً لم أسرّ بكم مثله، وأنّ حبيبي جبرئيل أتاني، فأخبرني: أنكم قتلى، وأنّ مصارعكم شتى فدعوت الله لكم وأحزنني ذلك»**، فقال الحسين: يا رسول الله! فمن يزورنا على تشتتنا، ويتعاهد قبورنا؟ قال: **«طائفة من أمتي يريدون بري وصلتي، فإذا كان يوم القيامة شهدتها بالموقف، وأخذت بأعضادها فأنجيتها ـ والله ـ من أهواله وشدائده»**[1].

وهذا الحديث وما سبقه من الأحاديث المصرحة برجحان زيارتهم، دليل مستقل على مشروعية زيارتهم وشد الرحال إلى قبورهم.

الأخبار في خصوص زيارة الحسين عليه السلام

ووردت روايات من طرق العامة أيضاً، في خصوص زيارة الإمام الحسين عليه السلام.

---

(١) مقتل الحسين للخوارزمي: ١٩٠ط دار أنوار الهدى، ورواه الخركوشي في (شرف النبي): ٢٩٠ مخطوط، والسمهودي في خلاصة الوفاء: ٢١٨ مخطوط عن شرف النبي ﷺ.

منها: ما رواه أبو منصور شهردار بن شيرويه الديلمي في الفردوس مسنداً عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنّ موسى بن عمران سأل ربّه زيارة الحسين بن علي عليهما السلام، فزاره في سبعين ألف من الملائكة**»[1].

الظاهر إن صح هذا الحديث وعلى فرض عدم التصحيف هو زيارته عليه السلام في حياة رسول الله بعد ولادة الحسين عليه السلام.

ومنها: ما ورواه المحدث جمال الدين محمد بن أحمد الحنفي الموصلي الشهير بابن حسنويه عن رسول الله ﷺ في حديث: «... **والذي نفسي بيده إنّ حول قبر ولدي الحسين أربعة آلاف ملك شعثاً غبراً يبكون عليه إلى يوم القيامة ورئيسهم ملك يقال له منصور، وإنّ الملائكة عون لمن زاره، فلا يزوره زائر إلا استقبلوه، ولا يودعه مودّع إلا شيعوه، ولا يمرض إلا عادوه، ولا يموت إلا صلّوا عليه واستغفروا له بعد موته**»[2].

وفي رواية أخرى: «**قد وكل الله بالحسين عليه السلام سبعين ألف ملك**

---

(١) الفردوس بمأثور الخطاب ١: ٢٢٧ ح ٨٧٠، ط دار الكتب العلمية ـ بيروت، ولاحظ مقتل الحسين للخوارزمي ٢: ١٩٢. وروي مثل ذلك عن علي بن أبي طالب عليه السلام

(٢) درّ بحر المناقب: ١٠١٧ مخطوط ولاحظ إحقاق الحق ١١: ٢٨٧.

شعثاً غبراً يصلون عليه كل يوم ويدعون لمن زاره، ورئيسهم ملك يقال له منصور، فلا يزوره زائر إلا استقبلوه ولا يودعه مودع إلا ودعوه، ولا يمرض إلا عادوه ولا يموت إلا صلوا عليه وعلى جنازته واستغفروا له بعد موته»[1].

ومنها : ما رواه الطبري في ذخائر العقبى عن علي بن موسى الرضا عليه السلام قال: سُئل جعفر بن محمد عن زيارة قبر الحسين؟ فقال: أخبرني أبي أنّ من زار قبر الحسين عليه السلام عارفاً بحقه كتب الله له في عليين، وقال إنّ حول قبر الحسين سبعين ألف ملك شعثاً غبراً يبكون عليه إلى يوم القيامة[2].

ومنها: ما رواه الحافظ محمد بن أبي الفوارس في كتابه الأربعين عن علي بن فضل الله بن علي بن عبد الله أدام الله علاه، يروي عن الثقات، عن أحمد بن محمد بن خالد، عن أبيه، عن وهب عن جعفر

---

(١) الأربعين لابن أبي الفوارس: ١٨، ولاحظ إحقاق الحق ٢٧: ٤٣٣.

(٢) ذخائر العقبى: ١٥١ ط مؤسسة الوفاء ـ لبنان، قال الطبري: خرجه أبو الحسن العتيقي ورواه الحضرمي في وسيلة المآب أيضاً بعينه، والخوارزمي في مقتل الحسين ٢: ١٩٢ با ختلاف يسير وفي مناقب ابن المغازلي: ٢٤٦ ـ ط دار مكتبة الحياة: قيل لأبي عبد الله عليه السلام: أيّ قبور الشهداء أفضل؟ قال: أوَ ليس أفضل الشهداء عندك الحسين عليه السلام؟ فوَ الذي نفسي بيده إنّ حول قبره أربعين ألف ملك شعثاً غبراً يبكون عليه إلى يوم القيامة.

الصادق، عن أبيه، عن آبائه عليهم السلام، عن رسول الله صلى الله عليه وآله إنّه قال: ما خلق الله خلقاً أكثر من الملائكة، وأنه لينزل من السماء كل مساء سبعون ألف ملك، يطوفون بالبيت ليلتهم، حتى إذا طلع الفجر انصرفوا إلى قبر النبي صلى الله عليه وآله فيسلمون عليه، ثم يأتون قبر علي أمير المؤمنين عليه السلام فيسلمون عليه، ثم يأتون قبر الحسين عليه السلام فيسلمون عليه، ثم يعرجون إلى السماء قبل أن تطلع الشمس، ثم تنزل ملائكة النهار سبعون ألف ملك، فيطوفون بالبيت الحرام نهارهم، حتى إذا غربت الشمس انصرفوا إلى قبر النبي صلى الله عليه وآله فيسلمون عليه، ثم يأتون قبر أمير المؤمنين عليه السلام فيسلمون عليه، ثم يأتون قبر الحسين فيسلمون عليه، ثم يعرجون إلى السماء قبل أن تغرب الشمس، والذي نفسي بيده إنّ حول قبره أربعة آلاف ملك شعثاً غبراً يبكون عليه إلى يوم القيامة.

ومنها : ما ورواه الخوارزمي عن عبد الله بن أحمد بن عامر ابن سليمان ببغداد في باب المحوّل، حدثني أبي أحمد بن عامر بن سليمان الطائي، حدثني أبو الحسن علي بن موسى الرضا، حدثني أبي موسى بن جعفر، حدثني أبي جعفر بن محمد، حدثني أبي محمد بن علي الباقر، حدثني أبي علي بن الحسين، حدثني أبي الحسين بن علي، حدثني أبي علي ابن أبي طالب عليه السلام، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله : «**كأني بالقصور قد شُيّدت حول قبر الحسين، ولا تذهب الأيام والليالي حتى يسار إليه**

من الآفاق وذلك عند انقطاع ملك بني مروان»[1].

حديث جابر وزيارته لقبر الحسين عليه السلام

روى الخوارزمي أيضاً بسنده عن الأعمش، عن عطية العوفي، قال: خرجت مع جابر ابن عبد الله الأنصاري زائراً قبر الحسين بن علي فلما وردنا كربلاء، دنا جابر من شاطئ الفرات فاغتسل، ثم اتزر بإزار وارتدى بآخر، ثم فتح صرّة فيها سعد فنثره على بدنه، ثمّ إنّه لم يخط خطوة إلاّ ذكر فيها الله تعالى، حتى إذا دنا من القبر قال: ألمسنيه يا عطية! فألمسته، فخرّ على القبر مغشياً عليه، فرششت عليه شيئاً من الماء، فلما أفاق قال: يا حسين يا حسين ـ ثلاثاً ـ ثمّ قال: حبيب لا يجيب حبيبه، وأنى لك بالجواب، وقد شُخِبت أوداجك على أثباجك، وفُرّق بين رأسك وبدنك؟! فأشهد أنّك ابن خاتم النبيين، وابن سيد الوصيين، وحليف التقى، وسليل الهدى، وخامس أصحاب الكساء، وابن سيد النقباء، وابن فاطمة سيدة النساء، ومالك لا تكون هكذا، وقد غذتك كفّ محمد سيد المرسلين، ورُبّيت في حجور المتقين، وأُرضعت من ثدي الإيمان، وفُطمت حياً، وطبت عيشاً غير أنّ قلوب المؤمنين غير طيبة بفراقك، ولا شاكة في الخيرة لك، فعليك سلام الله

(١) مقتل الحسين للخوارزمي: ١٩١.

ورضوانه، فأشهد أنك مضيت على ما مضى يحيي بن زكريا.

قال عطية: ثم جال ببصره حول القبر، فقال: السلام عليكم أيتها الأرواح الطيبة التي بفناء الحسين أناخت برحله أشهد أنكم قد أقمتم الصلاة، وآتيتم الزكاة، وأمرتم بالمعروف، ونهيتم عن المنكر، وعبدتم الله حتى أتاكم اليقين، فوالذي بعث محمداً ﷺ بالحق لقد شاركناكم فيما دخلتم فيه.

قال عطية: فقلت لجابر بن عبد الله: فكيف ولم نهبط وادياً، ولم نعل جبلاً، ولم نضرب بسيف، والقوم قد فُرّق بين رؤوسهم وأبدانهم، فأوتمت الأولاد وأُرملت الأزواج؟ فقال لي: يا عطية! سمعت جده رسول الله ﷺ، قال: «**من أحب قوماً حشر معهم، ومن أحب عمل قوم أُشرك في عملهم**».

أحدر بي نحو أبيات كوفان، فلما صرنا في الطريق، قال: يا عطية هل أوصيك، وما أظنني بعد هذه السفرة ألاقيك؟ أحب محبّ آل محمّد ما أحبهم، وأبغض مبغض آل محمد ما أبغضهم، وإن كانوا صوّاماً قوّاماً[1].

---

(١) مقتل الحسين للخوارزمي ٢: ١٩١

زيارة الأنبياء العظام والخمسة الطيبة رأس الحسين في بيت يزيد

روى الشبلنجي عن سليمان الأعمش أنه قال: خرجنا ذات سنة حجّاجاً لبيت الله الحرام وزيارة قبر النبي ﷺ، فبينا أنا أطوف بالبيت إذا رجل متعلّق بأستار الكعبة وهو يقول: اللهم اغفر لي وما أظنّك تفعل، فلمّا فرغت من طوافي قلت: سبحان الله العظيم ما كان ذنب هذا الرجل؟! فتنحّيت عنه ثمّ مررت به مرّة ثانية وهو يقول: اللهم اغفر لي وما أظنّك تفعل، فلمّا فرغت من طوافي قصدت نحوه فقلت: يا هذا إنّك في موقف عظيم يغفر الله فيه الذّنوب العظام فلو سألت منه عزّ وجلّ المغفرة والرحمة لرجوت أن يفعل فإنّه منعم كريم.

فقال: يا عبد الله من أنت؟ فقلت: أنا سليمان الأعمش فقال: يا سليمان إيّاك طلبت وقد كنت أتمنّى مثلك فأخذ بيدي وأخرجني من داخل الكعبة إلى خارجها، فقال لي: يا سليمان ذنبي عظيم، فقلت: يا هذا أذنبك أعظم أم الجبل أم السماوات أم الأرضون أم العرش؟ فقال لي: يا سليمان ذنبي أعظم مهلاً عليّ حتى أخبرك بعجب رأيته، فقلت له: تكلم رحمك الله، فقال لي: يا سليمان أنا من السبعين رجلاً الذين أتوا برأس الحسين بن علي عليه السلام إلى يزيد بن معاوية فأمر الرأس فنصب خارج المدينة وأمر بإنزاله ووضع في طست من ذهب ووضع في بيت منامه، قال: فلمّا كان في جوف الليل انتبهت امرأة يزيد بن معاوية فإذا

شعاع ساطع إلى السماء ففزعت فزعاً شديداً وانتبه يزيد من منامه، فقالت له: يا هذا قم فإني أرى عجبا، قال: فنظر يزيد إلى ذلك الضياء فقال لها اسكتي فإنّي أرى كما ترين، قال: فلمّا أصبح من الغد أمر بالرأس فأخرج إلى فسطاط وهو من الديباج الأخضر وأمر بالسبعين رجلاً فخرجنا إليه نحرسه وأمر لنا بالطعام والشراب حتى غربت الشمس ومضى من الليل ما شاء الله ورقدنا فاستيقظت ونظرت نحو السماء وإذا بسحابة عظيمة ولها دويّ كدوي الجبال وخفقان أجنحة فأقبلت حتى لصقت بالأرض ونزل منها رجل وعليه حلّتان من حلل الجنّة وبيده درانك وكراسي.

فبسط الدرانك وألقى عليها الكراسي وقام على قدميه ونادى أنزل يا أبا البشر أنزل يا آدم عليه السلام فنزل رجل أجمل ما يكون من الشيوخ شيباً فأقبل حتى وقف على الرأس فقال: السلام عليك يا ولي الله، السلام عليك يا بقية الصالحين عشت سعيداً وقتلت طريداً ولم تزل عطشاناً حتى ألحقك الله بنا، رحمك الله ولا غفر لقاتلك، الويل لقاتلك غداً من النار، ثمّ زال وقعد على كرسي من تلك الكراسي، قال: يا سليمان ثمّ لم ألبث إلا يسيراً وإذا بسحابة أخرى أقبلت حتى لصقت بالأرض فسمعت منادياً يقول: انزل يا نبي الله انزل يا نوح وإذا برجل أتمّ الرجال خلقاً وإذا بوجهه صفرة وعليه حلّتان من

حلل الجنة فأقبل حتى وقف على الرأس، فقال: السلام عليك يا أبا عبد الله، السلام عليك يا بقية الصالحين قُتلت طريداً وعشت سعيداً ولم تزل عطشاناً حتى ألحقك الله بنا، غفر الله لك، ولا غفر لقاتلك، الويل لقاتلك غداً من النار، ثم زال فقعد على كرسي من تلك الكراسي، قال: يا سليمان ثمّ لم ألبث إلاّ يسيراً وإذا بسحابة أعظم منها فأقبلت حتى لصقت بالأرض فقام الأذان وسمعت منادياً ينادي: أنزل يا خليل الله أنزل يا إبراهيم عليه السلام وإذا برجل ليس بالطويل العالي ولا بالقصير المتداني أبيض الوجه أملح الرجال شيباً فأقبل حتى وقف على الرأس فقال:

السلام عليك يا أبا عبد الله، السلام عليك يا بقية الصالحين قُتلت طريداً وعشت سعيداً ولم تزل عطشاناً حتى ألحقك الله بنا غفر الله لك، ولا غفر لقاتلك، الويل لقاتلك غداً من النار، ثمّ تنحّى فقعد على كرسي من تلك الكراسي، ثمّ لم ألبث إلاّ يسيراً فإذا بسحابة عظيمة فيها دويّ كدويّ الرعد وخفقان أجنحة فنزلت حتى لصقت بالأرض وقام الأذان فسمعت قائلاً يقول: انزل يا نبي الله انزل يا موسى بن عمران، قال: فإذا برجل أشد الناس في خلقه وأتمهم في هيبته وعليه حلّتان من حلل الجنة، فأقبل حتى وقف على الرأس فقال مثل ما تقدم ثمّ تنحى فجلس على كرسي من تلك الكراسي، ثم لم

ألبث إلا يسيراً وإذا بسحابة أخرى وإذا فيها دويّ عظيم وخفقان أجنحة فنزلت حتى لصقت بالأرض وقام الأذان فسمعت قائلاً يقول: انزل يا عيسى انزل يا روح الله فإذا أنا برجل محمر الوجه وفيه صفرة وعليه حلتان من حلل الجنة فأقبل حتى وقف على الرأس فقال مثل مقالة آدم ومن بعده ثمّ تنحّى فجلس على كرسي من تلك الكراسي، ثمّ لم ألبث إلا يسيراً وإذا بسحابة عظيمة فيها دويّ كدويّ الرعد والرياح وخفقان أجنحة فنزلت حتى لصقت بالأرض فقام الأذان وسمعت منادياً ينادي: انزل يا محمد، انزل يا أحمد ﷺ، وإذا بالنبي عليه السلام وعليه حلّتان من حلل الجنة وعن يمينه صفّ من الملائكة والحسن وفاطمة عليهما السلام فأقبل حتى دنا من الرأس فضمّه إلى صدره وبكى بكاء شديداً، ثمّ دفعه إلى أمّه فاطمة فضمته إلى صدرها وبكت بكاء شديداً حتى علا بكاؤها وبكى لها من سمعها في ذلك المكان، فأقبل آدم عليه السلام حتى دنا من النبي ﷺ فقال: السلام على الولد الطيب، السلام على الخلق الطيب أعظم الله أجرك وأحسن عزائك في ابنك الحسين ثمّ قام نوح وإبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام فقالوا كقوله كلّهم يعزونه ﷺ في ابنه الحسين، ثمّ قال النبي ﷺ: يا أبي آدم! ويا أبي نوح! ويا أبي إبراهيم! ويا أخي موسى! ويا أخي عيسى! اشهدوا وكفى بالله شهيداً على أمتي لما كافئوني في ابني وولدي من بعدي فدنا

منه ملك من الملائكة فقال: قطعت قلوبنا يا أبا القاسم أنا الملك الموكل بسماء الدنيا أمرني الله تعالى بالطاعة لك فلو أذنت لي أنزلتها على أمتك فلا يبقى منهم أحد، ثم قام ملك آخر فقال: قطعت قلوبنا يا أبا القاسم أنا الموكّل بالبحار أمرني الله بالطاعة لك فإن أذنت لي أرسلتها عليهم فلا يبقى منهم أحد فقال النبي ﷺ يا ملائكة ربي كفوا عن أمتي فإنّ لي ولهم موعداً لن أخلفه، فقام إليه آدم عليه السلام وقال: جزاك الله خيراً من نبي أحسن ما جوزي به نبي عن أمّته، فقال له الحسن: يا جدّاه هؤلاء الرقود هم الذين يحرسون أخي وهم الذين أتوا برأسه، فقال النبي ﷺ: يا ملائكة ربّي اقتلوهم بقتلهم ابني فوَالله ما لبثت إلاّ يسيراً حتى رأيت أصحابي قد ذُبحوا أجمعين، قال: فلصق بي ملك ليذبحني فناديته: يا أبا القاسم أجرني وارحمني يرحمك الله، فقال: كفوا عنه ودنا منّي، وقال: أنت من السبعين رجلاً؟ قلت: نعم، فألقى يده في منكبي وسحبني على وجهي وقال: لا رحمك الله ولا غفر لك أحرق الله عظامك بالنار فلذلك آيست من رحمة الله !.

فقال الأعمش: إليك عنّي فإنّي أخاف أن أعاقب من أجلك[1].

---

(١) نور الأبصار للشبلنجي: ٢٠٧ وحكاه عن التلمساني في كتابه المنهل الأصفى في شرح ما تمسّ الحاجة إليه من ألفاظ الشفا.

الملائكة تزور رأس الحسين عليه السلام في صومعة الراهب

وفي ينابيع المودة قال أبو مخنف: نصبوا الرمح الذي عليه الرأس الشريف المكرم إلى جانب صومعة الراهب... إلى أن قال: فلما جنّ الليل نظر الراهب إلى الرأس الشريف المكرّم رأى نوراً قد سطع منه إلى عنان السماء ورأى أنّ الملائكة ينزلون ويقولون: السلام عليك يا أبا عبد الله فبكى وقال لهم: ما الذي معكم؟ قالوا: رأس الحسين بن علي، فقال: من أُمّه؟ قالوا: أمه فاطمة الزهراء بنت محمد المصطفى، قال: صدقت الأحبار، قالوا: ما الذي قال الأحبار؟ قال: يقولون: إذا قُتل نبي أو وصي أو ولد نبي أو ولد وصي تمطر السماء دماً فرأينا أنّ السماء تمطر دماً، وقال: واعجباه من أمة قتلت ابن بنت نبيها. ثم قال: أنا أعطيكم عشرة آلاف درهم أن تعطوني الرأس الشريف فيكون عندي فقالوا: أحضر عشرة آلاف درهم فأحضرها لهم فأخذ الرأس المبارك المكرّم وجعله في حجره وهو يقبّله ويبكي ويقول: ليت أكون أوّل من قُتل بين يديك فأكون غداً معك في الجنة واشهد لي عند جدّك رسول الله صلى الله عليه وآله بأني أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأنّ محمداً عبده ورسوله. وحسن إسلامه[1].

---

(١) ينابيع المودة للقندوزي٣ : ٩٠ طبع دار الأسوة للطباعة والنشر.

وروى الحضرمي في رشفة الصدور الحديث بعين ما تقدم عن التذكرة ملخصاً[1].

فضل زيارة الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام

قد وردت من طرق العامة في فضل زيارته روايات.

منها: ما في كتاب مودة القربى عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «**ستدفن بضعة مني بخراسان ما زارها مكروب إلا نفس الله كربته ولا مذنب إلا غفر الله له**»[2].

وقال رسول الله لعائشة: «**من زار ولدي بطوس فإنما حج مرة**» فقالت عائشة: مرة؟! فقال: «**مرتين**» قالت مرتين! فقال: «**ثلاث مرات**» فسكتت عائشة فقال: «**ولو لم تسكتي لبلغت إلى سبعين مرة**»[3].

وفي فرائد السمطين بسنده عن أبي العباس أحمد بن محمد بن سعيد الحافظ، قال نبأنا علي بن فضال قال نبأنا أبي قال: سمعت علي بن موسى الرضا عليه التحية والثناء وجاءه رجل فقال له: يا ابن رسول

---

(١) رشفة الصدور لأبي بكر الحضرمي: ١٦٤ ط مصر.

(٢) مودة القربى للسيد علي بن شهاب الدين الهمداني: ١٤٠ ط لاهور، ينابيع المودة ٢٦٥ ط اسلامبول.

(٣) مودة القربى: ١٤٠.

الله ﷺ رأيت رسول الله ﷺ في المنام كان يقول لي: «**كيف أنتم إذا دفن في أرضكم بعضي واستحفظتم وديعتي وغُيّب في ثراكم لحمي**»، فقال له الرضا عليه السلام: أنا المدفون في أرضكم وأنا بضعة نبيكم وأنا الوديعة واللحم من زارني وهو يعرف ما أوجب الله من حقي وطاعتي أنا وآبائي شفعائه يوم القيامة، ومن كنا شفعاؤه نجا ولو عليه مثل وزر الثقلين ولقد حدثني أبي عن جدي عن أبيه،عن آبائه أنّ رسول الله ﷺ قال: «**من رآني في منامه فقد رآني فإنّ الشيطان لا يتمثل في صورتي ولا في صورة أحد من أوصيائي، إنّ الرؤيا الصادقة جزء من سبعين جزءٍ من النبوة**»[1].

فضل زيارة السيدة فاطمة المعصومة عليها السلام

وقد ورد من طرق العامة أيضاً روايات في الحث على زيارة ذراري الأئمة الصالحين.

منها: ما رواه البخاري في فصل الخطاب إذ قال: ومن بنات موسى بن جعفر عليه السلام فاطمة، قبرها ببلدة قم، وعن علي الرضا عليه السلام أنه

---

(١) فرائد السمطين للحموييني نقلاً عن احقاق الحق ١٢: ٣٥٢، وفي البحار ١٠١: ٣٢ عيون الأخبار ٢: ٢٥٧ والأمالي للصدوق: ٦٤، وقد تقدم ذكر هذا الحديث عن العامة مع مصادره في أحاديث زيارة النبي ﷺ (رؤيا بلال).

قال: من زارها فله الجنة[1].

ورواه أيضاً سراج الدين عثمان ددة في تاريخ الإسلام والرجال نقلاً من شواهد النبوة[2].

عزيزي القارئ هذه نبذة من الأخبار التي في فضل زيارة النبي المختار وأهل بيته الأطهار عليهم السلام التي اعتمد عليها علماء العامة ووردت في كتبهم وكما لاحظت أني لم أذكر ما ورد من طرق الشيعة شيئاً لأنّ الغرض هو إثبات المشروعية والاستحباب على مذهبهم كي يكون حجة عليهم ولا تبقى ذريعة للإنكار والتهجم على الشيعة وتكفيرهم بأنواع المفتريات المضحكة وبها يثبت لك بأنّ الشيعة لم تنفرد بهذه الأخبار ولا بالاعتقاد على زيارة النبي صلى الله عليه وآله وأهل بيته بل قد انعقد عليه إجماع العلماء من جميع المذاهب وعليه دارت سيرة المسلمين الأوائل إلى هذا الزمان فزاروا القبور وتبركوا بها واستشفعوا بأهلها عند الله في قضاء حوائجهم وغفران ذنوبهم وقد تعرضت لهذين الدليلين الشرعيين(الإجماع والسيرة) في كتاب زيارة الرسول

---

(١) فصل الخطاب لمحمد خواجه بارساي البخاري، نقلاً عن ينابيع المودة: ٣٨٣ ط اسلامبول.

(٢) تاريخ الإسلام والرجال: ٣٧٠ مخطوط ولاحظ إحقاق الحق ١٢: ٣٣٨.

المصطفى وآله بتخصيص فصلين مستقلين وأوردت مقالات علماء المذاهب في التأكيد على الزيارة ورد المخالفين وهكذا ما ورد في سيرة الصحابة والتابعين وغيرهم من العلماء والمسلمين في زيارة قبر النبي ﷺ والأئمة الطاهرين عليهم السلام وغيرهم من الأولياء والصالحين وإليك الآن موجزاً من ذلك التفصيل.

الإجماع

الإجماع في الواقع ليس دليلاً على المشروعية وحسب، بل هو دليل صارخ على زيغ ابن تيمية وأتباعه حينما يضربون بكلمة المسلمين الواحدة عرض الجدار.

فقد أطبق المسلمون عليها سلفاً وخلفاً من عهد النبي والصحابة إلى زماننا هذا قولاً، بل إنّ استحباب زيارة قبور الأنبياء والأوصياء والصلحاء، بل وسائر المؤمنين ملحق بالضروريات عند المسلمين، فضلاً عن الإجماع، وسيرتهم مستمرة عليها من عهد النبي ﷺ والصحابة والتابعين وتابعي التابعين وجميع المسلمين في كل عصر وفي كل صقع، عالمهم وجاهلهم صغيرهم وكبيرهم نساءً ورجالاً، وإنكار ذلك إنكار للضروريات والبديهيات.

والحاصل: أنّ الإجماع قولاً وعملاً قد ثبت ثبوت الجبال الراسيات على مشروعية شد الرحل لزيارة قبره الشريف ﷺ رغماً

لأنف المعاندين ومن شذّ عن سيرة المسلمين.

هذا وإليك مقالة أحد العلماء حول الزيارة وما يستفاد منه هذا الإجماع.

قال القاضي عياض المالكي المتوفى سنة ٥٤٤هـ في الشفاء بتعريف حقوق المصطفى:

وزيارة قبره ﷺ سنة مجمع عليها وفضيلة مرغّب فيها، ثم ذكر عدة من أحاديث الباب، مثل ما ورد من طريق موسى بن هلال، عن عبيد الله بن عمر عن نافع عن ابن عمر، عنهما قال: قال النبي ﷺ: **«من زار قبري وجبت له شفاعتي»**.

وما ورد عن أنس بن مالك أنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«من زارني محتسباً كان في جواري وكنت له شفيعاً يوم القيامة»**.

وفي حديث آخر: **«من زارني بعد موتي فكأنما زارني في حياتي»**.

وقال: قال اسحق بن إبراهيم الفقيه: ومما لم يزل من شأن الحاج المرور بالمدينة والقصد إلى الصلاة في مسجد رسول الله ﷺ والتبرك برؤية روضته ومنبره وقبره ومجلسه وملامس يده ومواطئ قدمه والعمود الذي كان يستند إليه وينزل جبرئيل بالوحي فيه عليه وبمن عمره وقصده من الصحابة وأئمة المسلمين، والاعتبار بذلك كلّه.

وروى عن ابن فديك أنه قال: سمعت بعض من أدركت يقول:

بلغنا أنه من وقف عند قبر النبي ﷺ فتلا هذه الآية: ﴿إِنَّ اللهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ﴾ ثم قال: صلى الله عليك يا محمد، من يقولها سبعين مرة ناداه ملك صلى الله عليك يا فلان ولم تسقط له حاجة.

وعن يزيد بن أبي سعيد المهري أنه قال: قدمت على عمر بن عبد العزيز فلما ودّعته قال: لي إليك حاجة إذا أتيت المدينة سترى قبر النبي ﷺ فأقرأه مني السلام.

قال غيره: وكان يبرد إليه البريد من الشام.

وروى أنه قال بعضهم: رأيت أنس ابن مالك أتى قبر النبي ﷺ فوقف فرفع يده حتى ظننت أنه افتتح الصلاة فسلّم على النبي ﷺ ثم انصرف... [1].

وروى في الشفاء أيضاً أنه: ناظر أبو جعفر المنصور أمير المؤمنين مالكاً في مسجد رسول الله ﷺ فقال له مالك: يا أمير المؤمنين، لا ترفع صوتك في هذا المسجد، فإنّ الله تعالى أدّب قوماً فقال: ﴿لا

---

(١) انظر الشفاء بتعريف حقوق المصطفى ٢: ٨٣ ـ ٨٥ ط دار الكتب العلمية بيروت، ولاحظ الروض الفائق للشيخ شعيب الحريفش: ٣٧٥ ط دار الكتب العلمية ـ بيروت.

﴿تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ﴾ ومدح قوماً فقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ...﴾ وذمّ قوما فقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ﴾ وإنّ حرمته ميتاً كحرمته حياً فاستكان لها أبو جعفر وقال:

يا أبا عبد الله، أستقبل القبلة وأدعو، أم أستقبل رسول الله ﷺ ؟

فقال له: ولم تصرف وجهك عنه؟ وهو وسيلتك ووسيلة أبيك آدم عليه السلام إلى الله تعالى يوم القيامة؟ بل استقبله واستشفع به، فيشفعه الله تعالى، قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللهَ...﴾...[1] ثم تعرض إلى ما نسب إلى مالك من الكراهة والوجوه فيه والجواب عنها.

فقد ذكرت هذا المقدار من كلام القاضي عياض لما فيه من النكات في بيان الإجماع وإثبات مشروعية الزيارة فإنه من العلماء والأئمة الذين يؤخذ بقولهم ويعتمد عليهم.

وقد لاحظت هذا الحوار وهذا الكلام من مالك وما اشتمل عليه من الزيارة والتوسل بالنبي ﷺ وحسن الأدب معه، فمع هذا الكلام

---

(١) الشفا للقاضي عياض ٢ : ٤١ ط دار الكتب العلمية ـ بيروت .

وسائر كلماته في مواضع أُخَر كيف تصح نسبة كراهة الزيارة إليه كما تمسك وتشبث بها ابن تيمية وأتباعه للمنع عن الزيارة فمن المتيقن لو صحت هذه النسبة إنّ غرضه ليس كراهة الزيارة نفسها، بل غرضه هو ما يؤدي ويفضي إلى تعظيم النبي واحترامه أكثر فأكثر وأن لا ينّزل شأنه بهذه الكلمات.

وهذا نموذج من أقوال ونصوص علماء المذاهب الأربعة وإجماعهم على مشروعية الزيارة واستحبابها وشد الرحل إليها، بل عن بعضهم التأكيد عليها والقول بوجوبها الكفائي فاتضح لك أنها من المسائل الضرورية والاتفاقية بين جميع الأمة الإسلامية سلفاً وخلفاً عدا الوهابية.

ومع هذا الإجماع والاتفاق وعمل الأصحاب والمسلمين سلفاً وخلفاً وعدم المنع والردع منهم، لا يُعتنى بتشكيكات واهية، ناشئة عن العداوة والحسد بالنسبة إلى الساحة النبوية، فإنهم أُناس معلوم حالهم وقد ثبت انحرافهم وضلالتهم وشذوذهم عن المسلمين فمخالفة مثلهم لا يضر بالإجماع، ولو أردنا أن نعتني بمثل هذه الشبه لما انعقد إجماع في أيّ مسألة أصلاً، ويلزم منه نفي أصل قطعي في الدين.

اعلم يا عزيزي القارئ: أنه لو فرضنا عدم الدليل العقلي والنقلي من الكتاب والسنة والإجماع القولي على مشروعية شيء أو عمل، وكانت سيرة المسلمين في جميع الأعصار دائرة على ذلك، ولم يردعهم أحد من أئمة الدين، بل كان المشاهد من عملهم التزامهم به فنفس هذه السيرة دليل على مشروعية ذلك العمل.

وأما فيما نحن فيه: فقد جرت السيرة المطردة من صدر الإسلام منذ عصر الصحابة الأولين والتابعين لهم بإحسان إلى زماننا هذا على زيارة قبور ضمنت نبياً مرسلاً، أو إماماً طاهراً، أو ولياً صالحاً أو عظيماً من عظماء الدين، ومن أقدس تلك القبور قبر الرسول المصطفى ﷺ وأهل بيته النجباء عليهم السلام.

وكان الصلاة لدى القبور، والدعاء عندها، والتبرك والتوسل بها، والتقرب إلى الله وابتغاء الزلفة لديه، بإتيان تلك المشاهد من المتسالم عليه بين جميع فرق المسلمين ومن دون أيّ نكير من آحادهم، وأيّ ردع من عظمائهم على اختلاف مذاهبهم والحال أنّ فيهم عقلاء علماء من الصحابة والتابعين وتابعي التابعين. وإليك الآن أسماء نبذة ممن زار تلك القبور الذين قد اعترفت العامة على جلالة شأنهم وصحة عملهم.

منهم : سيدة النساء فاطمة الزهراء عليها السلام فقد من طرق العامة أنه لما رمس رسول الله صلى الله عليه وآله جاءت فاطمة عليها السلام فوقفت على قبره صلى الله عليه وآله وأخذت قبضة من تراب القبر ووضعت على عينها وبكت وأنشأت تقول :

ماذا على من شم تربة أحمد أن لا يشم مدى الزمان غواليا
صبت عليّ مصائب لو أنها صبّت عليّ الأيام صرن لياليا [1]

وأنت تعلم أيها القارئ الكريم بأنّ المقصود من الزيارة هو الحضور عند المزور وأما قراءة الزيارات وغيرها من الأعمال من آدابها.

ومنهم : الصحابي أبو أيوب الأنصاري فقد ورد عن داود بن أبي صالح قال: أقبل مروان يوماً فوجد رجلاً واضعاً وجهه على القبر، فأخذ برقبته ثم قال: هل تدري ما تصنع؟ فأقبل عليه فإذا أبو أيوب الأنصاري، فقال: نعم إني لم آت الحجر ولم آت اللّبن إنما جئت رسول الله صلى الله عليه وآله ولم آت الحجر سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «**لا تبكوا على**

---

(١) وفاء الوفا للسمهودي ٤ : ١٤٠٥ الإتحاف بحب الأشراف للشبراوي : ٩ السيرة النبوية لأحمد زيني دحلان ٣ : ٣٩١ مشارق الأنوار للحمزاوي : ٦٣ أعلام النساء لعمر رضا كحالة ٣ : ١٢٠٥.

الدين إذا وليه أهله ولكن ابكوا على الدين إذا وليه غير أهله»[1].

وأنت يا أخي الكريم؛ تعرف الفرق بين الزائر أبي أيوب الأنصاري المدرك لشريعة سيد المرسلين وناصره ومضيّفه وبين الناهي عن الزيارة مروان بن الحكم المعلوم حاله وعداوته لرسول الله ﷺ عند المسلمين الذي وردت الأحاديث في ذمه عن رسول الله ﷺ حيث يقول له: إني لم آت الحجر وإنما أتيت رسول الله فإنه لم يرَ فرقاً بين زيارة النبي ﷺ حياً وميتاً.

فلاحظت أنه إذا كان مخالفاً في البين فهو من الذين يحاولون في إمحاء السنة المحمدية ﷺ وإطفاء نورها، ويأبى الله إلا أن يتم نوره.

ومنهم: الأعرابي الذي ذكرناه سابقاً في دليل الكتاب العزيز وهي مشهورة وقد ذكرها المصنفون في مناسكهم، فهي تدل على الحث على زيارته وشد الرحل إليه لأنّ الأعرابي كان مسافراً، ويؤيده ما في بعض الطرق من أنّ الأعرابي ركب راحلته وانصرف ولذا لما لحقه العتبي ما وجده، فإنه قد زار النبي وقرأ تلك الآية وتكلم بتلك الكلمات ولم يمنعه أحد بل إنّ النبي كان قد أمضى عمله وهكذا أمير

---

(١) مجمع الزوائد للهيثمي نقلاً عن أحمد، ٥: ٢٤٥ط بيروت ورواه الحاكم في المستدرك ٤: ٥١٥ وصححه هو والذهبي في تلخيصه، وذكره السمهودي في وفاء الوفا ٢: ٤١٠، ٤٣٣ نقلاً عن أحمد.

المؤمنين عليه السلام بناء على روايته، وكان قد استمر هذا الإمضاء إلى زمان ابن تيمية، وكما قال ابن حجر وغيره: من هو حتى يعتنى بكلامه وكلام أتباعه الذين ثبت عداوتهم لأهل بيت النبوة وشذوذهم عن الدين واعتقاداتهم الباطلة خصوصاً في التوحيد وقد كفّرهم العلماء والمسلمون عليها.

ومنهم: بلال بن رباح مؤذن رسول الله صلى الله عليه وآله فقد روى ابن عساكر بإسناد جيّد عن أبي الدرداء قال: إنّ بلالاً رأى في منامه رسول الله صلى الله عليه وآله وهو يقول: **ما هذه الجفوة يا بلال؟! أما آن لك آن تزورني يا بلال؟!** فانتبه حزيناً وجلاً خائفاً فركب راحلته وقصد المدينة، فأتى قبر النبي صلى الله عليه وآله فجعل يبكي ويمرغ وجهه عليه فأقبل الحسن والحسين عليهما السلام فجعل يضمهما ويقبلهما، فقالا له: نشتهي أن نسمع أذانك الذي كنت تؤذّن به لرسول الله صلى الله عليه وآله، ففعل، فعلى سطح المسجد، فوقف موقفه الذي كان يقف فيه، فلما أن قال: (الله أكبر) ارتجت المدينة فلما أن قال: (أشهد أن لا إله إلا الله) ازدادت رجتها، فلما أن قال:(أشهد أنّ محمداً رسول الله) خرجت العواتق من خدورهن فقالوا: أبُعث رسول الله، فما رُئي يوماً أكثر باكياً ولا باكية

بالمدينة بعد رسول الله من ذلك اليوم[1].

ومنهم: ابن عمر فقد روى عبد الرزاق في مصنفه بإسناد صحيح في باب السلام على قبر النبي ﷺ: أنّ ابن عمر كان إذا قدم من سفر أتى قبر النبي ﷺ فقال: السلام عليك يا رسول الله، السلام عليك يا أبا بكر، السلام عليك يا أبتاه[2].

وروي عن أبي عون قال: سأل رجل نافعاً: هل كان ابن عمر يسلم على القبر؟

قال: نعم، لقد رأيته مأة مرة أو أكثر من مأة مرة، كان يأتي القبر فيقوم عنده، فيقول: السلام على النبي، والسلام على أبي بكر، والسلام على أبي[3].

---

(١) تاريخ مدينة دمشق ـ ترجمة بلال، وأخرجه السبكي في شفاء السقام: ١٤١ وابن الأثير في أسد الغابة ١: ٢٠٨ والسمهودي في وفاء الوفا ٤: ١٣٥٧ وقال: سند جيد، والحمزاوي في مشارق الأنوار: ٥٧. والذي ورد في مصادر الشيعة أنّ أذانه كان بأمر من فاطمة الزهراء عليها السلام وأنّ ارتجاج المدينة كان على أثر بكائها لتذكرها أيام أبيها...

(٢) المصنف لعبد الرزاق ٣: ٥٧٦ ح٦٧٢٥، المجموع للنووي ٨: ٢٧٢، وفاء الوفا ٤: ١٣٥٨.

(٣) الشفاء للقاضي عياض ٢: ٨٦ ط دار الكتب العلمية، وفاء الوفا ٤: ١٣٥٨.

ومنهم: أبو أيوب السختياني فقد روي عن أبي حنيفة، أنه قال: جاء السختياني فدنا من قبر النبي ﷺ فاستدبر القبلة، وأقبل بوجهه إلى القبر، وبكى بكاء غير متباك. وروي من طريق آخر عنه وفي آخره: فقام مقام رجل فقيه [1].

ومنهم: الأئمة المعصومون وحجج الله على الخلق أجمعين فإنهم قد زاروا قبر النبي ﷺ كما زاره الآخرين ومنهم الإمام موسى بن جعفر عليه السلام حيث رواه الخطيب البغدادي بسنده فقال: حج هارون الرشيد، فأتى قبر النبي عليه السلام زائراً له وحوله قريش وأفياء القبائل، ومعه موسى بن جعفر فلما انتهى إلى القبر قال: السلام عليك يا رسول الله ياابن عمي، افتخاراً على من حوله، فدنا موسى بن جعفر فقال: السلام عليك يا أبه، فتغيّر وجه هارون وقال: هذا الفخر يا أبا الحسن حقاً [2].

ورواه البدخشي أيضاً في مفتاح النجا وجاء في ذيله: فتغير وجه الرشيد وتبيّن الغيظ فيه، فقبض على موسى وذهب به معه إلى بغداد وحبسه زماناً طويلاً، ثمّ أمدّ السندي بن شاهك حتى سمه فوعك

---

(١) وفاء الوفا ٤ : ١٣٧٧ .

(٢) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ١٣ : ٣١ ط دار الكتاب العربي.

موسى عليه السلام ومات بعد ثلاثة أيام[1].

وهذه الزيارة صدرت من إمام معصوم من أبناء رسول الله صلى الله عليه وآله الذي أذعن جميع أعلام المذاهب بصلاحه وزهده ووفور علمه وفيها كما في غيرها سنداً قاطعاً على صحة عمل المسلمين حيث لم يخالفهم أحد من المسلمين فضلاً عن أئمة الدين.

بل الذي يستفاد من نكير العلماء والمسلمين على من خالف هذه السيرة وحكمهم بكفره وضلالته هو قطعيّة هذه السيرة واطرادها، وعدم الشك في مشروعيتها عند جميع المسلمين، لأنّ المسلمين لم يزالوا في كل عام إذا قضوا الحج يتوجهون بولهٍ وشوق إلى زيارته صلى الله عليه وآله ومنهم من يزوره قبل الحج وكلهم يقصدون ذلك ويعرّجون إليه وإن لم يكن في طريقهم ويقطعون فيه مسافة بعيدة وينفقون فيه الأموال ويبذلون فيه المهج،معتقدين أنّ ذلك قربة وطاعة.

فقد شاهدناهم وشاهدهم مَن قبلنا، وهذا أمر لا يشك فيه أحد، وإطباق هذا الجمع العظيم من مشارق الأرض ومغاربها على مرّ السنين ـ ومنهم العلماء والصالحون وغيرهم ـ يستحيل أن يكون على خطأ ـ كما بشّر به الرسول المصطفى صلى الله عليه وآله بقوله: «**لا تجتمع أُمتي على**

---

(١) مفتاح النجا في مناقب آل العبا: ١٧٥، مخطوط. ورواه الحافظ الگنجي الشافعي أيضاً في كفاية الطالب: ٤٥٧ ط دار إحياء التراث أهل البيت.

خطأ» وكلهم يفعلون ذلك على وجه التقرب إلى الله عزّ وجل ونحن نرى أنّ من تأخر عن زيارته من المسلمين لعجزٍ أو تعويق المقادير يتأسف عليه ويودّ العروج إليه ويطلب من الله التوفيق ونيل الفضيلة لزيارته.

فمن ادعى أنّ هذا الجمع العظيم مجمعون على خطأ، فهو المخطئ وكان قد ردّ على رسول الله ﷺ، ومن كفّر هؤلاء المسلمين ونسبهم إلى الضلالة والبدعة، فهو المبدع وهو الضال وهو الكافر، حيث شذّ عنهم واستهان بهم واستهان بمن شرّفه الله وعظمه وفضله على جميع خلقه.

وكيف يمكن أن تكون سيرتهم وعملهم خطأً ومعصية وليس من الدين ولم يبيّنه لهم رب العالمين وصاحب الشرع القويم، ويمهلهم في الضلال المبين حاشا وكلا!!فإنّ فيه نقضاً للغرض من إرسال الرسل ومخالفة لحكم العقل بقبح العقاب بلا بيان.

فإن قلت: إنّ الشارع قد بيّن ومنع، كما قد روي: **«لا تشد الرحال، ولا تتخذوا قبري عيداً»**[1] وأمثاله.

نقول: إنّ هذه الروايات على فرض تسليم صحتها فمفهومها لا

---

(١) قدمنا مصادرها والكلام حولها في كتاب زيارة الرسول المصطفى وآله ﷺ بدعة أو شرع فراجع .

ربط له بالمقام وإنها أجنبية عن زيارة خير الأنام وقد فصلنا فيها الكلام في كتاب زيارة الرسول ﷺ بنحو لا يبقى فيه ظلام.

وإن قال الخصم: إنّ سفر هؤلاء المسلمين لم يكن بقصد زيارة قبر النبي ﷺ بل لمسجده وزيارة قبره تبعاً وضمناً وهذا لا مانع منه.

قلنا: إنّ المنصف يعرف أنّ ما عليه الناس من حين عروجهم إلى المدينة إلى أن يخرجوا منها، هو زيارة قبر الرسول المصطفى ﷺ ونيل فضيلتها ولا يخطر ببال أحد منهم غير الزيارة من القربات، وإن كان في ذهن بعضهم غير زيارته أيضاً فهو مغمور بالنسبة إلى الزيارة في حق هذا القليل.

بل غرضهم الأعظم هو الزيارة حتى أنه لو لم يكن قبر النبي ﷺ في المدينة، لما سافروا إليها، لأنهم قد أدركوا في مكة الثواب العظيم، ولهذا قلّ القاصدون إلى بيت المقدس، مع تيسره في ذلك الزمان وإن كان في الصلاة فيه من الفضل ما قد عرف وأنه من المساجد الثلاثة التي لا تشد الرحال إلا إليها.

فتبين أنّ المقصود الأعظم في المدينة، هو زيارة قبر النبي ﷺ كما أنّ المقصود الأعظم من السفر إلى مكة هو الحج أو العمرة، وإنكاره مكابرة على أهل الدين.

وإن شككت أنت في نفسك، فاسأل كل من توجه إلى المدينة، ما

هو قصده من سفره إليها؟ ليتضح لك الحال.

وأما ما ذكره العلماء في آداب الزيارة من أنه ينبغي أن ينوي مع زيارته، التقرب بالتوجه إلى مسجده والصلاة فيه.

فليس مرادهم أنه شرط في كون السفر للزيارة قربة، أن ينوي المسجد وغيره أيضاً، ـ كما ادعاه بعض المانعين من أجل تحريف سيرة المسلمين حيث لم يتمكنوا من إنكارها ـ بل أرادوا من هذا الكلام أنه ينبغي أن يقصد قربة أخرى ليكثر الأجر والثواب بكثرة القُرَب ويكون السفر إلى قربتين أو أكثر، بأن يقصد مضافاً إلى زيارته ﷺ مسجد النبي وزيارة شهداء أُحد وزيارة البقيع ومسجد قبا وغير ذلك.

وغرضهم من هذا التنبيه رفع ما قد يتوهم من أنّ قصد قربة أخرى غير زيارته ﷺ مناف للإخلاص في نية الزيارة، لا غير، وليس مرادهم أنّ شرط كون سفر الزيارة قربة أن يضم قصد قربة أخرى إليه وهذا غير خفي على من له تدبر وسداد.

حكم العقل

ومن بعد ذكر هذه الأدلة القاطعة من الكتاب والسنة وإجماع علماء الأمة على استحباب زيارة نبي الرحمة وسيرة المسلمين نقول: لو فرضنا جدلاً عدم وجود أيّ دليل على مشروعية الزيارة، لا من كتاب

ولا سنة ولا إجماع ولا سيرة فإنّه يكفينا ويغنينا حكم العقل على مشروعيتها والحث عليها من سائر الأدلة، حيث إنّ الله سبحانه قد جعل العقل حجة وأمضى أحكامه ـ كل ما حكم به العقل حكم به الشرع ـ فحكمه بحسنها ومحبوبيتها دليل على مشروعيتها من قبل الله عزّ وجل.

وأما بيان حكم العقل: فإنه يحكم بحسن تعظيم من عظمه الله تعالى: والتعظيم يتحقق بأنحاء مختلفة، من قبيل إحياء ذكره وتمجيده ونشر فضائله بين الناس ونشر كلماته ونصرته واحترامه والحضور عنده والتردد إليه حتى يعظم شأنه أمام الناس خصوصاً أمام المخالفين والأعداء الذين يحاولون في إمحاء ذكره وإطفاء نوره والاستخفاف به وإبعاد الناس عنه.

فالزيارة نوع من التعظيم للنبي ﷺ وفي تعظيمه تعظيم لشعائر الله وإرغام لمنكريه ومعانديه ﴿وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ فإذا ثبت رجحان زيارته ﷺ في حياته والوصول إلى خدمته فكذلك يثبت بعد مماته.

فقد مضى في نقل قول القاضي عياض في الإجماع، قول مالك إمام دار الهجرة لأبي جعفر المنصور: إنّ حرمة النبي ميتاً كحرمته حياً مع

أنه قد ثبتت حياته البرزخية وأنه ﷺ يعلم بمن يحضر عنده ويسلّم عليه ويرد السلام عليه وأنه حي عند ربه مرزوق، إذن فلا فرق بين الحياة الظاهرية والممات في لزوم التعظيم.

ومن جهة أخرى إنّ العقل لا يرى مانعاً من الزيارة ولا ما يوجب قبحها، بل يرى ما يحسنّها من تعظيم من عظمه الله واحترام من هدى الله الناس به إلى سبيل الرشاد وكان سبب سعادتهم وكمالهم وخروجهم من ظلمة الضلالة إلى نور المعرفة والهداية فقد قال الله عزّ وجل في كتابه: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ﴾[1].

وثانياً: إنّ عقل كل عاقل يحكم بالمكافاة والشكر والامتنان لمن أحسن إليه وأعانه وأنقذه من الهلكات، وثبت حقه عليه فقال الله تعالى: ﴿هَلْ جَزَاءُ الإِحْسَانِ إِلَّا الإِحْسَانُ﴾[2].

وقال النبي ﷺ: «جبلت القلوب على حب من أحسن إليها

(١) سورة آل عمران: ١٦٤.

(٢) سورة الرحمن: ٦٠.

وبغض من أساء إليها »[1].

وقال علي عليه السلام: كافِ من أحسن إليك[2]، وقال تعالى أيضاً: ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾[3] وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: « من لم يشكر الناس لم يشكر الله »[4].

فهذه الكلمات من الشرع قد أيدت وأمضت وحكمت بما حكم به العقل.

وعليه فقد ثبت وجوب أداء الحق والوفاء به شرعاً.

ومن جانب آخر أيضاً: إنّ حق النبي صلى الله عليه وآله على الأمة عظيم إذ أنقذهم من الظلمات إلى النور ويؤيد عظيم حقه على المسلمين كلام أمير المؤمنين عليه السلام في ما كان عليه الناس:

إنّ الله بعث محمداً نذيراً للعالمين وأميناً على التنزيل وأنتم معاشر العرب على شرّ دين، وفي شرّ دار، منيخون بين حجارة خشنٍ، وحيّاتٍ صُمٍّ، تشربون الكدر وتأكلون الجشب وتسفكون دمائكم،

---

(١) فيض القدير للمناوي ٣: ٤٥٣

(٢) دعائم الإسلام ٢: ٤٨٧.

(٣) سورة إبراهيم: ٧.

(٤) سنن الترمذي ٣: ٢٢٨.

وتقطعون أرحامكم، الأصنام فيكم منصوبة والآثام بكم معصوبة...[1].

ولهذا ثقلت وظيفتنا في أداء حقه، فإنا لو حاولنا كل المحاولات لما تمكنا من أداء حقوقه كما هو علينا، وقد سامحنا الله فيها بقوله:

﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[2].

ولكن مع هذا يجب علينا أداء الوظيفة مهما أمكن.

والخروج عن عهدتها يتحقق بإظهار المحبة له ونصرته والمودة لأهل بيته والدعاء والصلاة عليه وعليهم وإحياء أمرهم ونشر فضائلهم وزيارتهم والتردد إليهم في حياتهم وبعد مماتهم وإقامة المحافل والمجالس لتشييد أمره ومرامه وأمر أهل بيته الذين قد جعلت مودتهم أجر الرسالة كما قال تعالى: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾[3].

وأداء هذه الأمور كلها من باب الوظيفة الأخلاقية والإنسانية

---

(١) نهج البلاغة، الخطبة: ٢٦.

(٢) سورة الشعراء: ١٠٩.

(٣) سورة الشورى: ٢٣.

التي حكم العقل بإتيانها، ولو كان هو غير محتاج لها، فإنه قد بلغ من الفضل والمقام ما بلغ، ورفعه الله إلى قاب قوسين أو أدنى، وقد أمر الله جميع الملائكة وجميع خلائقه من الأولين والآخرين بتعظيمه ومحبته وإطاعته والدعاء له والصلاة عليه وعلى أهل بيته، فإذا أدينا أجر الرسالة يرجع نفعه إلينا، وتكون فائدته وآثاره الدنيوية والأخروية لنا كما قال: ﴿قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللهِ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾[1].

ولا يخفى إنّ ما ذكرناه من حكم العقل والوجدان عام يشمل أهل سائر الملل والأديان في تعظيم أنبيائهم وعظمائهم والتقدير لمن له حق عليهم، وهكذا فإنّه دليل لنا عليهم إن طالبونا بالدليل في تعظيم الأنبياء والأولياء وزيارة قبورهم، فإنهم إن لم يعتقدوا بكتابنا وسنتنا، لا محيص لهم من قبول هذا الدليل إن كانوا من ذوي العقول.

على أنّ زيارة قبر النبي ﷺ وقبور أهل بيته من أكمل وأتم موارد الشكر وأداء الحق لما فيها من تعظيم النبي ﷺ وإحياء أمره وإرغام مخالفيه وحاسديه والمانعين من زيارته وزيارتهم عليهم السلام، والعقل أيضاً لم يرَ مانعاً منها، بل يرى ما يحسّنها ويحثّ عليها وينهى عن تركها،

---

(١) سورة سبأ: ٤٧.

ودليل مشروعية الشيء عدم المنع منه وعدم المحذور فيه.

فإن قلت: إنّ كثرة التعظيم والزيارة له والتردد عنده يفضي ويؤدي إلى الشرك بالله والغفلة عن عبودية الله، فهذا هو المانع.

قلت: هذا الكلام هو الذي قد تشبث به ابن تيمية ومقلّدوه على الضلالة لمنع الزيارة وتكفير المسلمين عليها وضربهم وإيذائهم عليها، وهذا صرف وسوسة شيطانية، ناشئة من ضغينة كامنة فيه نحو الرسول، فإنه كيف يخطر في ذهن مسلم الإشراك بسبب زيارته والتوسل به في المسلمين الذين يعتقدون في حقه أنه عبده ورسوله وينطقون بذلك في صلاتهم اليومية وغيرها من الصلوات مرات عديدة، وهكذا في زياراتهم، فلاحظ متون الزيارات تراها مشتملة على الشهادة بوحدانية الله عزّ وجل والرسالة لنبي الله وأنه عبده ورسوله وأمثال هذه الكلمات موجودة في سائر الزيارات.

ولم يزل أهل العلم ينهون عن البدع في كل الشؤون ويرشدون الناس إلى السنة في الزيارة والتوسل حتى لا يقع منهم ما لا يناسب عبودية الله سبحانه وعلى فرض وقوع خطأ عن جهل من جاهل فهذا ليس دليلاً على الشرك والكفر فإنه لم يخطر ببال أحد منهم الإشراك بالله بسبب زيارته وهكذا في زيارة أهل بيته عليهم السلام.

كيف وقد أنقذهم الله به صلى الله عليه وآله وبأهل بيته من الشرك والضلالة

وأدخل في قلوبهم نور الإيمان وعبادة الرحمن وأبعدهم عن عبادة الأوثان؟!

فكيف لا يستحي هؤلاء المغرضون في نسبة المسلمين الزائرين بالكفر وعبادة القبور فإنّ التعظيم والتقديس الذي يتوجه إلى الرسل إنما هو لأفكارهم التوحيدية ورسالاتهم التي حملوها، فالتقديس والتعظيم للنبي الأعظم ﷺ تقديس للمعاني والأفكار التي دعا إليها وأتعب نفسه في نشرها فكيف يُظنّ في مؤمن عرف حقيقة الدعوة المحمدية أن يكون مضمراً لمعنى من معاني الشرك والوثنية، وهو يستعبر العبر ويستبصر ببصيرته ﷺ ويستضيء بنوره عند روضته الشريفة.

فإذا كان خوف ابن تيمية وأتباعه من أن يؤدي ذلك إلى الوثينة بمضي الزمان، فإنه خوف من غير جهة ومجرد وسوسة، لأنّ الناس ما زالوا إلى حد الآن يزورون النبي ﷺ وهكذا أهل بيته وسائر الأولياء واستمروا على هذه السيرة الشريفة ومع ذلك لم يُنظَر إلى هذا العمل نظر عبادة أو وثنية ولا سمعنا لحد الآن، أنّ هذه النظرة قد خطرت ببال أحد من عوامهم فضلاً عن غيره.

ولو اتفق أن أفرط أحد منهم، فالناس يعرفون أنه من الجهّال ويفرقون بينه وبين غيره من المسلمين من أهل المعرفة ويرشدونه إلى

السنة الصحيحة، وعمل الجهّال لا ربط له بالسنة ولا يمنع من تعظيم تلك الذكريات الجليلة ولا يوجب التكفير والمنع من الزيارة وتعظيم شعائر الله. وهل يجوز لعالمٍ أن ينسب الكفر لمن يقبِّل أحجار الكعبة ويتوسل بها إلى الله ويمسح يديه ووجهه بها وكذلك من يعظم مقام إبراهيم ـ الذي ذكر بالعظمة في القرآن ـ ومن يتمسح بالحجر الأسود وما أشبه.

فإنّ من نسب واتّهم مسلماً إلى الكفر عند هذه المظاهر العبادية، فهو الكافر كما في الأحاديث.

فتحصل مما قلنا: أنّ هذه الأمور لم تكن مانعة من رجحان الزيارة ومحبوبيتها عقلاً وشرعاً فبحكم العقل فضلاً عن سائر الأدلة ثبتت مشروعية الزيارة، بل استحبابها وتأكدها، بل وجوبها الكفائي أيضاً على من له القدرة.

وقد سبق منا مراراً بيان ما هو ثابت من أنّ كل ما ثبت لنبينا محمد ﷺ من الحقوق ووجوب التعظيم والاحترام والفضل والمقام إلا النبوة فهو ثابت لأهل بيته ومُهَج قلبه ومن هم كروحه ونفسه بلا شك وكلام فإذا ثبتت بأيّ دليل مزية للنبي فهي سارية فيهم إذن فكما ثبتت مشروعية زيارة قبره ﷺ والتأكيد والحث عليها والتحذير على تركها فقد ثبتت أيضاً مشروعية زيارة قبر أمير المؤمنين وبضعة

المصطفى المجهول قبرها! والحسن المجتبى والحسين الشهيد بكربلاء وسائر الأئمة المعصومين وذريتهم المظلومين عليهم السلام مضافاً لما ورد في خصوص زيارتهم من دليل ومضافاً لما ثبت منّ أنّ زيارتهم وتعظيم قبورهم وإحياء أمرهم من مصاديق الأجر الواجب تقديمه للرسول المصطفى صلى الله عليه وآله ومن مصاديق تعظيم شعائرالله الذي هو من تقوى القلوب ومن قبيل ترفيع البيوت التي أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه .

فما بال الذين يغضون أبصارهم أمام هذه الحقائق الواضحة والبراهين البينة وينكرون على زوارهم ومحبيهم وينصبون أمامهم حبائل الكذب والافتراء والعدوان فتارة ينسبونهم إلى الشرك وتارة إلى المجوس وتارة إلى أهل الغلو والبدع وغيرها من الخزعبلات والاتهامات الواهية وقد بلغ أمر بعض المرتزقة المغرضين منهم أن تعدى الحد وأفتى بأنّ زيارة سيد الشهداء أعظم من الزنا !!! وبهذا البهتان قد طبّق ما أنبأ به الرسول المصطفى صلى الله عليه وآله إذ قال : « ...وإنّ حثالة من الناس يعيرون زوار قبوركم كما تعيّر الزانية بزناها في آخر الزمان أولئك شرار أمتي يوم القيامة »[1].

---

(١) تهذيب الأحكام للشيخ الطوسي ٦ : ٢٢ ح٥٠ ورواه ابن طاووس في فرحة الغري : ١٤٤ والمفيد في المزار : ٢٢٨ ح١٢ وأخرجه السنقري الكردستاني في كتابه الوهابيون والبيوت المرفوعة : ٦٨ .

وهل من الإنصاف أن يُفترى على الشيعة بسبب العمل بوظائفهم وتعظيمهم لنبيهم وأهل بيته ﷺ بالغلوّ وأمثال تلك الكلمات الشنيعة، والحال أنّ هذا التعظيم والزيارة غير منحصر بهم.

بل ترى المسلمين من سائر المذاهب يعظمونهم ويعظمون علمائهم وشخصياتهم في حال حياتهم وبعد مماتهم كما أنّ غير المسلمين يعظمون عظمائهم ومن له عليهم ويعظمون كل ما ينسب إليه ويرتبط به.

ويؤيده ما روي عن رسول ملك الروم وكان من أشرف الروم وأعظمها وكان يأتي ليزيد بالكتب من عند ملكهم، فسلم على يزيد ومن حوله وأعطاه كتاباً كان معه ثم جلس وتحدث معهم وهم على تلك الحالة ورأس الحسين بينهم في الطست، فاستعظم ذلك.

فقال ليزيد: لم تشربون الخمر وهذا الرأس بينكم فلمن هي؟ فقال: لا تسأل عما لا يعنيك. فقال: أريد أن أخبر ملكنا بما أنتم عليه، لأنه يسألني عن كل شيء رأيته فلهذا أريد أن تخبرني بقضية هذا الرأس حتى أشارككم في الفرح والسرور.

فقال له يزيد: هذا رأس خارجي خرج على عاملي في البصرة والعراق. فقال له: ومن يكون هذا الخارجي؟ قال: الحسين بن علي فقال: من أمه؟ قال: فاطمة الزهراء بنت محمد. فقال: أفٍ لك

ولتدينك يا يزيد الآن ديني أحسن من دينك. فقال: لماذا؟ قال لـه: أبي كان من حواري داود وبيني وبينه أكثر من أربعين جداً، فمن ذلك النصارى يعظموني ويأخذون من تراب أقدامي تبركاً بي، وأنتم تفعلون بابن بنت نبيكم هذه الفعال وما بينه وبينه جد، فأي دين دينكم؟

ثم قال: يا يزيد هل سمعتم حديث كنيسة الحافر؟

قال: لا، فقال: اعلم إنّ بين عمان والصين بحر مسيرة سنة ليس فيه عمران إلا بلدة في وسط الماء ثمانين فرسخا في ثمانين ما على وجه الأرض أكبر منها ومنها يحمل الياقوت والكافور وأشجارها العود والعنبر وهي في أيدي النصارى وفي تلك البلدة كنائس كثيرة وأعظمها كنيسة حافر، محرابها حلقة ذهب معلقة وفيها حافر مرصع بالدمع والياقوت،ومن حوله الذهب والفضة،وليس باثناً منه شيئاً من كثرة الذهب والفضة والحلي إلى أسفله وتعظيم هذا الحافر يكون بسبب زعمهم أنه حافر حمار كان يركبه عيسى عليه السلام وكثير منهم يقصدون زيارته في كل عام ويطوفون حوله ويقبلونه ويرفعون حوائجهم إلى الله عنده، فهذا شأنهم ودأبهم بحافر حمار يزعمون أن نبيهم كان يركبه، وهذا نبيكم حقاً لا شك فيه وقد هداكم من الضلالة إلى الهدى ومن ظلمة الكفر إلى نور الإسلام، وأبو المقتول هو

الساقي على الحوض يوم القيامة، فلا بارك الله فيك ولا في فعلك!!.

فغضب يزيد غضباً شديداً وقال: اقتلوه لئلا يفضحنا.

فلما سمع ذلك، قال أتريد قتلي؟ قال: نعم.

فقال: اعلم إني رأيت نبيكم في المنام وقد ضمن لي الجنة فتعجبت من كلامه، ثم قال ليزيد: تقتل ابن نبيكم وتزعم أنك على دين الإسلام، فأنا أشهد أن لا إلا الله وأنّ محمداً رسول الله، ثم تقدم إلى الرأس وضمّه وقبّله وبكى، ثم قُتل وهو يقول وا خجلة الإسلام من أضداد ظفروا به وقوم المسيح يعظمون حافر حماره.

ونظيرها قصة أخرى وقعت في مجلس يزيد وهي قصة رأس الجالود اليهودي[1].

وما ورد في كتب العامة من زيارة علماء مذاهبهم وأوليائهم وسائر العامة لقبور أهل البيت وتعظيمهم والتبرك بهم ومشاهدة الكرامات منهم فكثير نقدم نموذجاً منها.

رؤية الحسين جالساً على الضريح

قال الشبلنجي في نور الأبصار: ومن ذلك أيضاً ما أخبر به

---

(١) نور العين في مشهد الحسين أبو إسحاق الإسفراييني: ٨١ و٦٦ ط المنار - تونس، ولاحظ كتاب الإمام الحسين للدكتور محمد بيومي مهران: ١٥٥.

العلامة الشيخ فتح الدين أبو الفتح الغمري الشافعي إنه كان يتردد إلى الزيارة غالباً.

فجلس يوماً يقرأ الفاتحة ودعا فلمّا وصل في الدعاء إلى قوله واجعل ثواباً مثل ذلك فأراد أن يقول في صحائف سيدنا الحسين ساكن هذا الرمس.

فحصلت له حالة فنظر فيها إلى شخص جالس على الضريح وقع عنده أنه السيد الحسين عليه السلام فقال في صحائف هذا وأشار بيده إليه.

فلمّا أتم الدعاء ذهب إلى الشيخ عبد الوهاب الشعراني فأخبره بذلك فقال له الشيخ: صدقت وأنا وقع لي مثل ذلك، ثمّ ذهب إلى الشيخ كريم الدين الخلوتي فأخبره بذلك، فقال الشيخ كريم الدين: صدقت وأنا ما زرت هذا المكان إلاّ بإذن من النبي صلى الله عليه وآله [1].

بركات مشهد عليه السلام الحسين في مصر

قال الحمزاوي العدوي بعد كلام طويل له حول مشهد الإمام الحسين الشريف: واعلم أنه ينبغي كثرة الزيارة لهذا المشهد العظيم متوسلاً به إلى الله، ويطلب من هذا الإمام ما كان يطلب منه في حياته فإنه باب تفريج الكروب، فبزيارته يزول عن الخطب الخطوب،

---

(١) نور الأبصار للشبلنجي: ٢٠٥ ط منشورات محمد علي بيضون - دار الكتب العلمية بيروت.

ويصل إلى الله بأنواره والتوسل له كل قلب محجوب.

ومن ذلك ما وقع لسيدي العارف بالله تعالى سيدي محمد شلبي شارح (العزية) الشهير بابن الست وهو أنه قد سُرقت كتبه جميعاً من بيته قال: فتحير عقله واشتد كربه، فأتى إلى مقام وليّ نعمتنا الحسين منشداً لأبيات استغاث بها، فتوجه إلى بيته بعد الزيارة ومكثه في المقام مدة، فوجد كتبه في محلها قد حضرت من غير نقص لكتاب منها وهاهي الأبيات:

أيحوم حول من التجأ بكم أذى؟

أو يشتكي ضيماً وأنتم سادته؟!

حاشا يُرد من انتمى لجنابكم

يا آل أحمد أو تَسرُّ شوامته

لكم السيادة من ألست بربكم

ولكم نطاق العز دارت هالته

هل ثم باب للنبي سواكم

من غيركم من ذي الورى ريحانته

تباً لطرف لا يشاهد مشهداً

يحوي الحسين وتستلمه سلامته

فالزم رحاباً ضم سبط محمد

ما أمّه راج وعيقت حاجته

ها خادماً للحب يرفع حاجة

مما يلاقي من بلايا هالته

أمدنا الله من فيض إمداده ومتعنا من فيض قربه وتقبيل أعتابه[1].

وذكر الشبراوي: إنّ رجلاً يقال له: شمس الدين العمويني كان ساكناً بالقرب من المشهد وكان معلم الكسوة الشريف حصل له ضرر في عينيه فكُف بصره وكان كل يوم إذا صلى الصبح في مشهد الإمام الحسين يقف على باب الضريح الشريف ويقول: يا سيدي أنا جارك قد كف بصري وأطلب من الله بواسطتك أن يرد عليّ ولو عيناً واحدة، فبينما هو نائم ذات ليلة إذ رأى جماعة أتوا إلى المشهد الشريف فسأل عنهم،فقيل له: هذا النبي ﷺ والصحابة معه جائوا لزيارة السيد الحسين عليه السلام فدخل معهم، ثم قال ما كان يقوله في اليقظة.

فالتفت الحسين إلى جده ﷺ وذكر له ذلك على سبيل الشفاعة عنده في الرجل فقال النبي ﷺ للإمام علي عليه السلام : «يا علي كحّله» فقال: سمعاً وطاعة وأبرز من يده مكحلة ومروداً وقال له: تقدم حتى

---

(١) مشارق الأنوار للحمزاوي: ٩٢.

أكحلك فتقدم فلوّث المرود ووضعه في عينه اليمنى فأحسّ بحرقان عظيم فصرخ صرخة عظيمة فاستيقظ منها وهو يجد حرارة الكحل في عينه ففتحت عينه اليمنى فصار ينظر بها إلى أن مات، وهذا الذي كان يطلبه.

فاصطنع هذه البُسُط التي تُفرَش في مشهد الإمام الحسين عليه السلام وكتب عليها وقفاً ولم تزل تفرش حتى تولى مصر الوزير المعظم محمد باشا الشريف من طرف حضرة مولانا السلطان محمد خان نصره الله فجدد بُسطاً أخرى وهي التي تفرش إلى الآن[1].

أخي المسلم: هذه قطرة من بحار فضائل سيدنا الحسين الشهيد المظلوم الذي قال رسول الله صلى الله عليه وآله في حقه وحق أخيه السبط المسموم الحسن المجتبى سلام الله عليهما وعلى آبائهما: «**الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة**» وقال صلى الله عليه وآله: «**الحسن والحسين إمامان قاما أو قعدا**»[2].

وهذا شطر مما قاله علماء العامة في حق الحسين عليه السلام وفي مدحه

---

(١) الإتحاف بحب الأشراف: ٢٧. ثم ذكر كرامة أخرى للشيخ أبي الفضل نقيب السادة الخلوتية.

(٢) سبل الهدى لابن حجر العسقلاني ٤: ١٢٥، ذخائر العقبى للطبري: ١٢٩.

وكراماته ومعجزاته وإلا فهي خارجة عن حد الإحصاء وكيف تحصى فضائل من زواره ملائكة السماء وأرواح تمام الأنبياء، ومن نجى ببركة مولده وشفاعته فطرس المعذب في السماء ومن بكت عليه جميع الموجودات وعجبت لصبره ملائكة السماء ومن له الشفاعة الكبرى يوم الجزاء و...

أثر زيارة الإمام موسى بن جعفر عليه السلام والتوسل به

قال في فضله ابن طلحة العدوي الشافعي في مطالب السؤول: هو الإمام الكبير القدر العظيم الشأن المجتهد الجاد في الاجتهاد المشهور بالعبادة المواظب على الطاعات المشهود له بالكرامات يبيت الليل ساجداً وقائماً ويقطع النهار متصدقاً وقائماً، لفرط حلمه وتجاوزه على المعتدين عليه دُعي كاظماً. كان يجازي المسيء بإحسانه إليه ويقبل الجاني بعفوه عنه، ولكثرة عبادته كان يسمى بالعبد الصالح، ويعرف في العراق بباب الحوائج إلى الله لنجح مطالب المتوسلين إلى الله تعالى به، كراماته تحار منها العقول وتقضي بأنّ له عند الله تعالى قدم صدق لا تزل ولا تزول[1].

وجاء في تاريخ بغداد عن علي بن الخلال قال: ما همّني أمر

---

(١) مطالب السؤول لمحمد بن طلحة العدوي الشافعي: ٢٨٩ ط مؤسسة البلاغ.

فقصدت قبر موسى بن جعفر عليه السلام وتوسلت به إلا سهّل الله لي ما أحب[1].

ورُئي في بغداد امرأة تهرول فقيل: إلى أين؟ قالت: إلى موسى بن جعفر فإنه حُبس ابني، فقال لها حنبليٌ: إنه قد مات في الحبس فقالت: بحق المقتول في الحبس أن تريني القدرة، فإذا بابنها قد أُطلق وأُخذ ابن المستهزئ بجنايته[2].

هذه لمحة من مما ورد من طرق العامة في زيارة عترة المصطفى صلى الله عليه وآله وإلا فهي كثيرة قد خصّ لها بعض علماء العامة كتباً مستقلة.

وقد سبق منا بأنّ هذا التعظيم وزيارة القبور لا ينحصر بأهل البيت عليهم السلام بل ترى الناس يزورون سائر القبور ممن يعتقدون بأنّ له فضلاً وشأن وإليك نبذة أخرى من تلك القبور المزارة والمعضمة عند الناس.

منها: مزار نبي الله جرجيس عليه السلام في الموصل قال ابن جبير في رحلته: خصّ الله هذه البلدة بتربة مقدسة، فيها مشهد جرجيس عليه السلام، وقد بُني فيها مسجد، وقبره في زاوية من أحد بيوت المسجد عن يمين الداخل إليه... فتبركنا بزيارة هذا القبر المقدس والوقوف عنده، نفعنا

---

(١) تاريخ بغداد ١ : ١٢٠، ورواه جمع من أئمة المذاهب.

(٢) المناقب لابن شهر آشوب ٣ : ٤٢٢ ط النجف عن الخطيب البغدادي.

الله بذلك[1].

ومنها: مزار الشريف أبو جعفر الحنبلي المتوفى سنة ٤٧١هجرية كان يدخل عليه الفقهاء وغيرهم يقبلون يده ورأسه، ولما مات دفن إلى جنب أحمد بن حنبل، فاتخذت العامة قبره سوقاً كل ليلة أربعاء يترددون إليه ويقرؤن الختمات عنده[2].

ومنها: مزار أبي حنيفة: قال ابن بطوطة في رحلته: قبر الإمام أبي حنيفة عليه قبة عظيمة وزاوية فيها الطعام للوارد والصادر، وليس بمدينة بغداد اليوم زاوية يطعم الطعام فيها ما عدا هذه الزاوية. ثم عدّ جملة من قبور المشايخ ببغداد فقال: وبالقرب منها قبر الإمام أبي عبد الله أحمد بن حنبل، ولا قبة عليه، ويذكر أنها بُنيت على قبره مراراً، فتهدمت بقدرة الله تعالى، وقبره عند أهل بغداد معظم، وأكثرها على مذهبه، وبالقرب منه قبر أبي بكر الشبل، من أئمة المتصوفة، وقبر سري السقطي، وقبر بشر الحافي و... إلى أن قال: وأهل بغداد لهم في كل جمعة لزيارة شيخ من هؤلاء المشايخ ويوم لشيخ آخر يليه هكذا

---

(١) رحلة ابن جبير:١٦٨ط دار الكتب العلمية، وانظر رحلة ابن بطوطة:٢٤٩ط دار الكتب العلمية.

(٢) البداية والنهاية ١٢: ١١٩ ط دار الفكر - بيروت.

إلى آخر الأسبوع، وببغداد كثير من قبور الصالحين والعلماء[1].

ومنها: مزار مالك بن أنس إمام المالكية المتوفى ١٧٩هـ قبره ببقيع الغرقد في المدينة المنورة، قال ابن جبير في رحلته: عليه قبة صغيرة مختصرة البناء وأمامه قبر السلالة الطاهرة إبراهيم بن رسول الله ﷺ وعليه قبة بيضاء إنّ الفقهاء في مناسكهم عدوا زيارته من آداب من زار قبر النبي الأقدس ﷺ[2].

وقال ابن حجر: إنّ الإمام الشافعي أيام كان هو ببغداد كان يتوسل بالإمام أبي حنيفة ويجيء إلى ضريحه يزور، فيسلم عليه، ثم يتوسل إلى الله تعالى به في قضاء حاجاته.

وقال: قد ثبت أنّ الإمام أحمد توسل بالإمام الشافعي حتى تعجب ابنه عبد الله بن الإمام أحمد فقال له أبوه: إنّ الشافعي كالشمس للناس وكالعافية للبدن، ولما بلغ الإمام الشافعي: أنّ أهل المغرب يتوسلون بالإمام مالك لم ينكر عليهم[3].

وأنت تلاحظ أيها القارئ الكريم أنّ مثل قبر أبي حنيفة كيف

---

(١) رحلة ابن بطوطة: ٢٤٠ ط دار الكتب العلمية.

(٢) رحلة ابن جبير: ١٤٤ دار الكتاب اللبناني.

(٣) الخيرات الحسان لابن حجر حكاه عنه أحمد زيني دحلان في خلاصة الكلام: ٢٥٢ والدرر السنية.

يعظم ويزار ويبنى له المقام، وتلاحظ أنّ من يعتقد به كيف يتوسل به ويطلب منه الحاجات، وكانت هذه سنة متداولة بين الناس بالنسبة إلى أكابرهم ومشايخهم ولم يمنع منه مانع، والحال أنّ أبا حنيفة لا يجوز مقايسته مع النبي وعترته الأطهار وأنه كان تلميذاً من تلامذة الإمام الصادق عليه السلام وقد تعلم منه، وكان يعترف بفضائله ومقامه وتقدمه على الآخرين.

لكن من المؤسف أن نرى قبور أهل بيت العصمة والطهارة في البقيع قد منعت من الزيارة وهُدّمت وهُتك حرمتها وحرمة زائريها ولو مُنح لهم المجال لهدموا غيرها من المشاهد المشرفة ومنعوا الناس من زيارتها كما تعرضوا لهذا الأمر كراراً ولكن أبى الله إلا يرفع شأنها ويراها معظمة فيعبد فيها ويذكر فيها اسمه بالغدو والآصال ولو كره الكافرون فانظر يا أخي إلى مشاهدهم والزيارات التي تنعقد فيها كل يوم يمضي عليها يزيد في ازدهارها وعظمتها والتردد إليها وكثرة شوق الناس إلى زيارتها فمنهم من يبذل الأموال الكثيرة ويجتاز الطرق البعيدة والأوطان النائية ويركب الطائرات أو الحافلات ومنهم من يمشي على الأقدام وترى فيهم الشيبة والمعوقين والأطفال ومنهم من يقدم الأكلات وسائر الخدمات مع كل التواضع والافتخار ـ كما في زيارة أربعين سيد الشهداء عليه السلام وغيرها وفيهم من

يشاهد الكرامات والمعجزات أثناء الطريق فيقول: العظمة لله فيكثر اعتقاده بكقدرته عزوجل إذ كل ما يجهد الأعداء في إطفاء هذا النور الإلهي العظيم ويحاول بأنواع التهديدات والانفجارات والافتراءات يراه سبحانه قد أفشل مخططاتهم وأخاب سعيهم وأبى إلا أن يتم نوره وإن شاء الله سيتحقق ما وعد الله المستضعفين المضطهدين من النصر وظهور الأمر والغلبة على الظالمين المستكبرين فيطهر الأرض منهم على يد البقية من العترة الهادية الإمام المنتظر عليه السلام وأيدي أعوانه المؤمنين المنتظرين وسيعلم الذين ظلموا آل محمد أيّ منقلب ينقلبون والعاقبة للمتقين . وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .